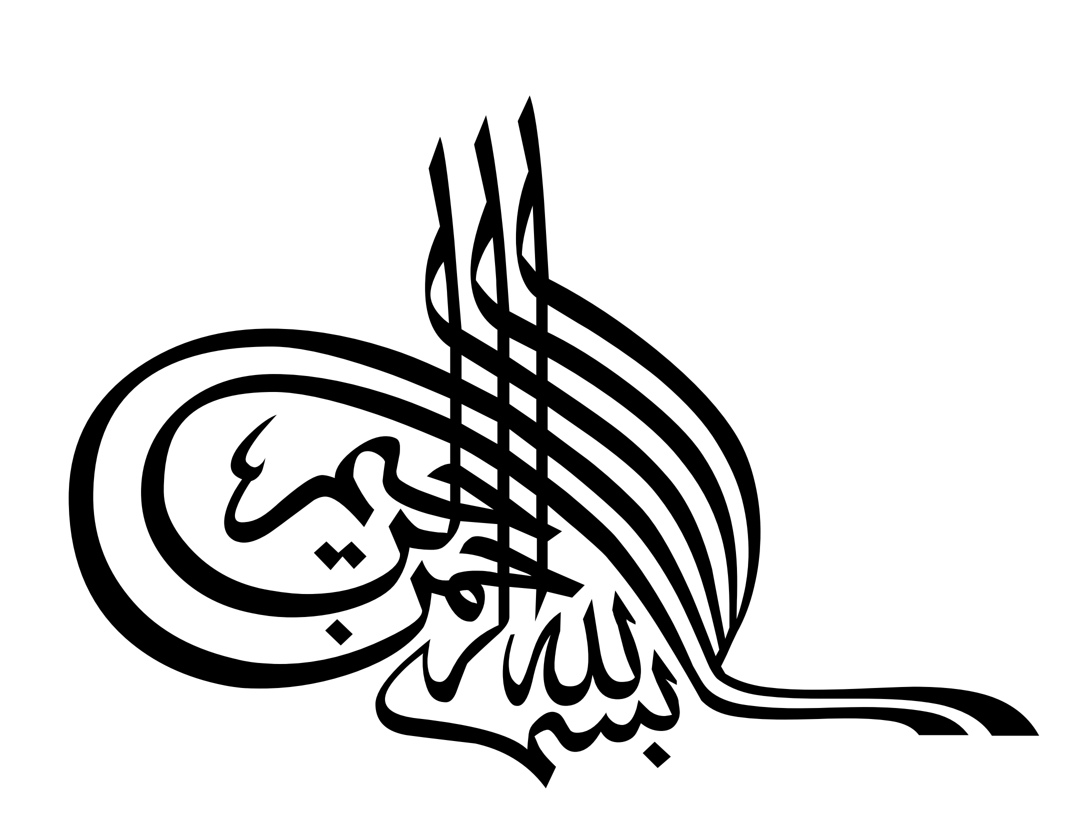

هدية
لكل مبتعث
و مهاجر
كيف
تدعو
ملحدا
بوذيا
هندوسيا
كتابيا
إلى
الاسلام؟
«سؤال و جواب»
د . هيثم طلعت

الطبعة الأولى


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

باسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَن والاه، وبعد:

الحِقبة الأخيرة من تاريخ أمتنا ليست ككل الحِقب.

والتحديات التي يواجهها شباب أمتنا ليست ككل التحديات.

وفي الأفق تلوح إرهاصات فتن كبرى ما زالت تختبيء خلف الغمام، تنتظر ساعةً لا تتقدم عنها ولا تتأخر ستأخذ بالألباب وتدع الحليم حيرانًا.

ولا أرانا نختلف أن اتجاه العالم نحو تبني العلمانية كما كان يتوهم فوكوياما صار محض خيال، وأن أطروحة أستاذه صامويل هانتنجتون النقدية بالفعل صارت أقرب إلى الواقع.

فقد رأى فرانسيس فوكوياما في كتابه الأشهر "نهاية التاريخ" أن البشرية ستتجه نحو تبني النموذج العلماني الليبرالي والقضية مسألة وقت لا أكثر.

لكن أستاذه صامويل هانتنجتون ثعلب السياسة الأمريكية، والذي ظل أستاذًا للسياسة بجامعة هارفارد ل٥٨ عامًا ونشأ على يده جيلٌ كامل من ساسة العلمانية الغربيين، انتقد أطروحة فوكوياما بشدة في كتابه "صدام الحضارات" فقد رأى أن العالم سيعود وبقوة إلى الأصولية الدينية[١].

---

(١) كتاب هانتنجتون من وجهة نظري لم يُقرأ قراءة جيدة فقد تعرض لهجوم غير مُبرر، وقد أُسيئت قراءته، فالكتاب لا يمانع التحرر من القيد العلماني لأن العلمانية في نظر الكاتب سيرتد عنها العالم شئنا أم أبينا!

فيقول هانتنجتون مدافعًا عن الإسلام: " لا آدم سميث ولا توماس جيفرسون سَيَفُون بالاحتياجات النفسية والعاطفية والأخلاقية لأصحاب الديانات الأرضية، ولا المسيح قد يفي بها وإن كانت فرصته أكبر؛ على المدي الطويل محمد سينتصر». -ﷺ-

---

صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، صامويل هنتنجتون، ترجمة: طلعت الشايب، الطبعة الثانية، ص١٠٨.

ويدافع عن الصحوة الإسلامية في وجه العلمانية فيقول: " الصحوة الإسلامية ليست رفضاً للحداثة وإنما رفض للغرب ورفض للثقافة العلمانية النسبية المتفسخة المرتبطة به، إنها رفض لما يُطلق عليه التسمم بالغرب الذي يصيب المجتمعات غير الغربية، إنه إعلانٌ كله كبرياء يقول هذا الإعلان " سنكون حداثيين- سنتقدم – لكن لن نكون أنتم». ص١٦٨

ويتحدث هنتنجتون عن مشكلة العالم الإسلامي الكبرى في أنه لا توجد له دولة مركز إسلامية تنتزع حقوقه المسلوبة وتقيم له وزنه في العالم فيقول: " مشكلة السعودية أن عدد سكانها صغيرٌ نسبياً وعدم حصانتها جغرافياً، وتركيا كانت مؤهلة لتكون دولة مركز بالنسبة للإسلام بفضل قوتها الاقتصادية والعدد السكاني الكبير لكن أتاتورك حرمها من هذا الشرف، وطالما ظلت تركيا تُعرِّف نفسها كدولة علمانية فلن تكون لها الزعامة على الأمة الإسلامية، فهي حتى لم تُقبل في منظمة المؤتمر الإسلامي بسبب تبنيها للعلمانية في دستورها، وإذا تخلت تركيا عن العلمانية كشيء غريب عن وجودها، وتركت تسول عضوية الاتحاد الأوربي، وظهرت كمتحدث بإسم الإسلام ساعتها سترقى بنفسها وتقود الأمة الإسلامية». ص٢٩١

فالكتاب في خلاصته رؤية من سياسي خبير في دراسة حضارات الأرض.

أيضًا كتاب "نهاية التاريخ" أُسيئت قرائته، فالكتاب لا يدعو للعلمانية الليبرالية بقدر ما يبين أن العالم سيتجه إليها رغم خطورتها.

ففوكوياما يقدم في كتابه نقدًا عاليًا لأسس العلمانية الليبرالية.

فهو يتحدث عن الرجل العلماني الليبرالي الذي سيكون في آخر الزمان ومع طول الأمد أشبه ب"الكلب" الذي لا يعنيه الدفاع عن أحد؛ فقد توقف البشر عن جهاد الطلب وبالتالي توقف إحقاق الحق، وهنا يأتي خاتم البشر ذلك العلماني الليبرالي "الكلب" الراضي بملذاته الأرضية، يقول فوكوياما: داخل الليبرالية سيصبح الناس حيواناتٍ من جديد كما كانوا قبل المعركة الدامية التي بدأ بها التاريخ، إن الكلب يقنع بالنوم في ضوء الشمس

وبالفعل شواهد ذلك أضحت كثيرة، وها هي الأحزاب المتطرفة تُعدل كراسيها وتهيىء أنفسها لجلوسٍ طويلٍ في البرلمانات الغربية بعد اعتمادها من قبل الجماهير في صناديق الاقتراع.

وفي خضم هذه التأهُبات يليق بالمسلم الفَطِن أن يشحذ أصول أدلته الدينية ويضبط أوليات عقله لنزالٍ فكري عقائدي يتحتم عليه دخول حلبته.

طوال اليوم شرط أن يطعموه وذلك لأنه راضٍ بما هو عليه، ولن يقلقه أن غيره من الكلاب حالها أفضل من حاله أو أن مستقبله ككلب قد جُمد أو أن كلاباً في بقعة نائية من العالم تصادف المذلة والهوان».

ويقرر فوكوياما أن العلمانية الليبرالية كارثية فهي لا تضبط مسألة حقوق الإنسان كما يتخيل الواهمون فلو كانت العلمانية صحيحة وكنّا أبناء حيوانات فلماذا نبحث عن حقوقنا نحن ولا نبحث عن حقوق الحشرات مثلاً؟

يقول فوكوياما: "سنصل حتماً في مرحلةٍ ما إلى السؤال التالي: لماذا لا تتمتع الطفيليات المعوية والفيروسات بحقوق مساوية لحقوق الإنسان؟ إن عدم اهتمام الناس بهذه المساواة يوضح أنهم لا يزالون يؤمنون بمفهوم ما عن تفوق قدر الإنسان، وحتى حماة الطبيعة وحماة الحيوانات هم فقط يدافعون عن الحيوانات لأنهم يحبون بقاءها معنا، وإفناؤها لا سبيل لتعويضه مع ضياع فوائد ربما تُكتشف منها مستقبلاً، فحتى حماتها هم للإفادة منها وليس من أجلها وهذا عكس حقوق الإنسان، إن مفهوم التوسع في المساواة كامنٌ في حيرتنا الراهنة إذ نفكر في طبيعة الإنسان، ذلك أننا لو كنا نؤمن حقاً أن الإنسان مجردُ كائن في سلسلةٍ حيوانيةٍ يخضع لقوانين الطبيعة ليست له قيمٌ متجاوزة فهنا لابد أن تتساوى الكائنات جميعاً في الحقوق، وسيتعرض ساعتها المفهوم الليبرالي لحقوق الإنسان للهجوم من أعلى ومن أسفل، ولا يسمح لنا هذا المأزق الفكري الذي أوقعتنا فيه النسبية الحديثة بأن نرد على هذا الهجوم أو ذاك وبالتالي لا يسمح لنا بالدفاع عن الحقوق الليبرالية ."

ويَعتبر فوكوياما أن خاتم البشر العلماني الليبرالي سيكون شخص كسول بلا غاية: "خاتم البشر الليبرالي سيكون إنساناً رائعاً قانعاً بسعادته غير قادر على الإحساس بالخجل من أنه عاجز عن الارتقاء فوق مستوى احتياجاته، وبالتالي فإن خاتم البشر لم يعد بشراً».

وهنا يُبشر فوكوياما بأن العلمانية الليبرالية ستنزع مفهوم الإنسان!

والله أعلم.

فلم يعد لدينا ترف الوقت للمسلم الموسوعي الذي كان في حاضرتنا الإسلامية وقت مجدها فكان المسلم عالمًا وفقيهًا وطبيبًا وفيزيائيًا وفلكيًا ورياضيًا وناقدًا بارعًا للأدب، وفي الوقت ذاته هو نحوي ومترجم ومستشار للخليفة وقاضي.

لم يعد لدينا إلا أمل التخصصية لتدارك قلة البركة في الأوقات والأعمار.

والتخصص في مقارنة الأديان ومعرفة أفكار الأمم صارت فيه مقدمات لم يعد يسع مسلم مواقع التواصل الاجتماعي والمسلم المبتعث جهلها.

فالتحديات وأفكار الاتجاهات المغايرة لن تدع لك فرصة المشاهدة المحايدة.

فإما أن تكون داعية لما تعتقد أو ستُدعى إلى ما يخالف عقيدتك.

ولذلك رأيت أن أقدم بين دفتي هذا الكتاب وجبة معرفية تضبط بديهياتك العقلية وترفع لديك الحس النقدي، وتُولِد عندك ملكة الحوار العقلي في العقائد والاستدلال النظري في نقد ديانات العالم ودعوة الأمم التي ضلت عن شريعة ربها.

فنحن أمة دعوة، ولو كان غاية ما نقدمه للأمم أن نتصفح ما ينتجونه لما غادر الإسلام مكة!

فإذا أردنا أن نأخذ موضع قدمٍ في هذا الصدام فلنصحح معرفتنا بديننا ولنستعن بالله على الدعوة إلى سبيله بالتي هي أحسن.

وغاية هذا الكتاب التي أرجوها أن: يكون وجبة معرفية سهلة الهضم قليلة الحجم، ينتفع الحاصل عليها في دعوته إلى الله، ويتحصن بها المبتعث والمغترب والمهاجر، ويجد فيها شباب مواقع التواصل سلاحًا ينزلون به إلى ساحات الخصوم.

وقد اخترت الديانات الرئيسية في العالم" النصرانية والبوذية والهندوسية" مع عقد فصل كامل عن الإلحاد، وكل ديانة أخرى أو مذهب أخر يتْبعون بصورةٍ أو بأخرى هذه الديانات الرئيسية.

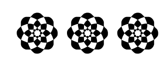
فالديانة السيخية مثلاً هي صورة غير نمطية للهندوسية.

والزرادشتية على سنة أهل الكتاب.

والديانات القبلية الروحية مسحة بوذية.

فنقد الديانات الرئيسية هو نقد مباشر لباقي الديانات التي ابتعدت عن إسلام الأنبياء.

أسأل الله أن يتقبل هذا العمل وأن يضع له القبول وألا يحرمني أجره، سبحانه إنه هو الحليم الودود.



الفصل الأول
كيف تدعو ملحداً
إلى الإسلام؟

١- ما معنى الإلحاد؟

الإلحاد هو: رفض الاعتقاد بأية قوى غيبية.

فالملحد ينكر الخالق والنبوات والبعث.

٢- ما هو الدليل على وجود الله الخالق؟

الأدلة كثيرة لكن نكتفي بدليلين: دليل الإيجاد ودليل العناية.

٣- ما معنى دليل الإيجاد؟

دليل الإيجاد يعني أن:

كل شيء مُحدَث أي وُجد بعد أن لم يكن موجودًا، لابد له مِن مُحدِث أي موجِد.

وبذلك يكون لدينا ١٠ أس ١٢٤ دليلاً على الخلق!

وهذا الرقم هو عدد الذرات بأنشطتها الوظيفية في كل الكون.

بالمناسبة هذا الرقم عملاق فهو يعني ١٠ أمامها ١٢٤ صفرًا!

فكل شيء مُحدَث قد ظهر إلى الوجود هو دليل على الخالق الموجِد.

وأنت إذا نظرت إلى الوجود تبيّن لك عرضيته وتغيره أي أنه عرضي ومتغير وليس دائم ولا أزلي، وهنا أنت تقطع بأنه غير مكتفٍ بذاته، فينصرف نظرك إلى موجده، ويتبرهن لك بأن له خالقًا!

ولذلك ما أكثر آيات القرآن في لفت النظر إلى الموجودات، قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [يونس:١٠١].

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴾ [الروم:٨].

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ ﴾ [الأعراف:١٨٥].

فكل شيء مُحدَث دليل مباشر على الموجِد!

٤- ما معنى دليل العناية؟

دليل العناية يعني أن:

كل شيء في الوجود على الإطلاق من الكواركات –أصغر جرم مادي تم رصده يُشكل البُنى الذرية– إلى المجرات، يحمل درجة من درجات التعقيد الوظيفي.

أي يؤدي وظيفة متخصصة ومهمة محددة.

وكل تعقيد وظيفي في الطبيعة هو مرتبة زائدة على مجرد الوجود.

فالوجود مرتبة.

والتعقيد داخل الشيء الموجود مرتبة زائدة على مجرد الوجود.

وكل ما حولك مُصمم بشكل معين ليؤدي وظيفة محددة.

إذن كل ما حولك يحمل تعقيدًا وظيفيًا.

والتعقيد الوظيفي دليل صنع وإيجاد.

إذن لابد من موجِد.

مثال ذلك "المصباح": هذا تعقيد وظيفي.

فالمصباح الكهربي يتكون من: فتيلة، وسلك من الرصاص يوصل الكهرباء للفتيلة، وغاز خامل يحمي الفتيلة ولا يتعامل معها ولا مع الكهرباء، وزجاج يمنع دخول الهواء أو خروج الغاز الخامل وإلا لاحترقت الفتيلة، وقاعدة المصباح وهي التي توصل المصباح بالدواية وتكون مسارًا للتيار الكهربي.

هنا المصباح الكهربي نظام به تعقيد لا يمكن تبسيطه، وبالتالي فيه دلالة عقلية أولية تفيد الصنع المتقن، والذي ينفي الصنع المتقن عن المصباح أو يفترض ظهوره بالصدفة هو المطالب بالدليل على ذلك!

فالذي صَنع المصباح يعلم تمامًا معنى الكهرباء ومساراتها وفائدة المصباح وحساسية الفتيلة، ولذا وجود المصباح دلالة مباشرة على أن له صانع متقِن، وليس ضرب عشواء لمجرد أن هناك مصابيح مختلفة في شكلها تمامًا عنه!

وبنفس الدرجة من الاستدلال العقلي نجد أن الشيء المعقد وظيفيًا مثل الإنسان له موجِد صانع.

المصباح يتكون من ٤ مكونات.

الإنسان يتكون من ٣ مليار مكوِن في كل خلية من خلاياه .

٣ مليار مكوِن "حرف" يشكلون وظائف الكائن الحي، والتي تسمى الجينوم أو الDNA وتقبع هذه الحروف في نواة كل خلية من خلاياك.

فإذا ظننت أن ال٤ مكونات الخاصة بالمصباح لها صانع وأنت ليس لك صانع فهذه مشكلتك أنت.

﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الطور:٣٥].

وكل شيء حولك فيه تعقيد، ولا يوجد شيء في الطبيعة على الإطلاق بدون قدر من التعقيد الوظيفي كما يقول علماء الفيزياء.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة:١٦٤].

والآيات في ذلك كثيرة جدًا؛

ولا يتذكر إلا من يستخدم عقله ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:٧].

فاقتضى الوجود –دليل الإيجاد– وضبط الموجودات –دليل العناية– التسليم بصحة دلالة الموجِد عقلاً!

٥- لماذا لا يكون الإنسان وغيره من الكائنات الحية مصدرهم كائنات أولية بسيطة جدًا؟

هنا مشكلتان:

الأولى: أنه لا يوجد دليل واحد رصدي على تطوري كبروي.

والتطور الكبروي معناه: انتقال نوع من الكائنات الحية إلى نوعٍ آخر.

والعلماء لم يرصدوا دليل واحد على انتقال نوع إلى نوع، فهذا مجرد افتراض.

فكيف للملحد أن يؤمن بهذا الدليل وينكر علينا الدليل الديني؟

المشكلة الثانية: طبقاً لنظرية الحد الأدنى من الجينات Minimum gene set concept لا يُمكن لكائن حي مهما كانت بساطته أن ينزل إلى أقل من ٢٠٠ جينة وفي عدد ٦ يناير ٢٠٠٦ نشرت مجلة الطبيعة الشهيرة Nature أنه " لا يمكن أن نتجاوز حاجز ٣٩٧ جين "، فإنتاج الطاقة وحدة يتطلب ٦ جينات كحد أدنى، وإذا نقص جين واحد فالخلية لن تُزوَّد بالطاقة، وهكذا كل وظيفة أساسية لها حد أدنى من الجينات، وقد وجد العلماء أن الميكوبلازما Mycoplasma وهي أدق كائن حي موجود على وجه الأرض على الإطلاق، لديه ٤٦٨ جين، والجينة الواحدة تحتوي على بروتينات مُركبة قد تصل من ١٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠ حمض أميني.

إذن المشكلة لو عندك ٣ مليار معلومة متخصصة –تلك المعلومات الموجودة داخل نواة كل خلية من خلاياك- لإنتاج وظائف حيوية دقيقة أو حتى ١٠ آلاف معلومة، فأنت أمام كنز عملاق من المعلومات المتخصصة ظهرت فجأةً.

فالملحد كان يتخيل أن هناك كائنات بدأت من الصفر جينة، لكن أتت نظرية الحد الأدنى من الجينات لتقضي على هذا الحلم.

فالكائنات الحية ظهرت معقدة وظيفيًا منذ اللحظة الأولى.

٦- ما هي الأمثلة على دليل العناية؟

الأمثلة لا حصر لها.

ولا تسعها دواوين الأرض.

فكل ذرة في الكون هي دليل عناية عِلمنا اليوم أو غدًا بهذه الحقيقة.

أ- فالإنسولين –هرمون هضم الجلكوز- يفرزه البنكرياس بنفس مقدار السكر الذي أكلته.

ب- قوة ضخ القلب للدم تتعادل مع الطاقة التي تحتاجها العضلات بحسب الجهد المبذول.

ج- صمامات معدتك لئلا يرجع الطعام إلى فمك فتتأذى.

د- صمامات الإخراج لئلا تتأذى ثيابك في كل لحظة.

هـ- عظام جمجمتك لا تلتحم حتى تنزل من بطن أُمك آمناً بسهولةٍ ويُسر، لأنها لو كانت ملتحمة لما نزلت من بطن أمك إلا بعد تكسرها، ولا يكتمل نموها حتى يكتمل نمو مخك.

و- كل محاور أعصابك والتي تنقل الإشارات الكهربية مُغطاه بطبقة عازلة –كما نفعل نحن الآن مع الأسلاك الكهربية -، لئلا تشرد الإشارة الكهربية أو تضيع أو تسبب لك إزعاجًا.

ز- الالكترون يدور حول النواة بسرعة ألف كيلو متر في الثانية وإلا لسقط داخل النواة بفعل قوة التجاذب مع النواة الموجبة ولانهار الكون قبل أن يبدأ، وهذه هي السرعة المثالية لتشكل الذرة.

ح- وعندما تلتحم ذرتان من الهيدروجين فإن ٠,٧ ٪ من كتلة الهيدروجين تتحول إلى طاقة، ولو كانت هذه الكتلة هي ٦,٠٪ بدلا من ٧,٠٪، فإن البروتون لن يلتحم بالنيوترون، ولظل الكون مجرد هيدروجين فحسب، ولما ظهرت باقي العناصر، ولو كانت الكُتلة المتحوّلة إلى طاقة هي ٨,٠٪ بدلاً من ٧,٠٪،لأصبح الالتحام سريعاً للغاية، الأمر الذي سيؤدي إلى اختفاء الهيدروجين فوراً من الكون، فتستحيل معه الحياة، فالرقم يلزم أن يكون بين ٦,٠٪ و ٨,٠٪ .

ط- كتلة الإلكترون Electron mass تمثل ٠,٢٪ من كتلة النيوترون Neutron mass، وهذه هي الكتلة القياسية لتكوين الذرَّة.

ي- تتجه البراعم بعد الإنبات مباشرةً نحو مصدر الضوء وتتجه الجذور نحو الأسفل حيث تتمتع البراعم بحساسية مفرطة للضوء، وكل المعلومات التي تحتاجها للقيام بوظيفتها توجد مُشفرة داخل البذرة، وهناك هرمونات تتحكم في النمو العلوي والجانبي للنبتة وفي اتجاه الجذور وكلها أيضاً مشفرة داخل البذرة.

وأنت تأكل الفاكهة اللذيذة ثم ترمي البذرة الجافة اليابسة عديمة الطعم بعيدًا عنك، أنك بذلك تخضع لعقل مدبر يحكم الكون كله، يسمح لتلك الفاكهة أن تُمرر جيناتها لكل مكان في الأرض حيث تمنحك طعماً لذيذاً وتُخفي جيناتها أصل حياتها في قلب بذرة جافة ملساء غير مغرية لك ما أن تلتصق بالأرض حتى تبدأ تتفتق بهدوء إلى فروع وجذور فتنبت وبذلك تكون الأم قد نجحت في تمرير جيناتها للأبناء، كل هذا يحدث في نباتات لا تعي شيئا.

مَن الذي ضبط المعلومة لتلك الفاكهة البكماء الصماء، وضَبَط كمية السُكر بها بحيث تروق لك؟

مَن الذي جعل البذرة غير مقبولة وغير مُستساغة، حتى تزهد فيها وتلقيها بعيدًا؟

مَن الذي شحن البذرة بالمعلومات الوراثية الكافية لتخليق نبتة جديدة بكل تفاصيلها ووظائفها؟

ك- العلماء يتحدثون مؤخرًا عن كتلة الكون الكلية وأنها ضرورية لوجودنا على الأرض؟

فالعطالة أو القصور الذاتي Inertia والتي تعني مقاومة الجسم لأي تغير في حركته، هذه النعمة مصدرها كتلة الكون ككل.

ولو كانت العطالة أقل مما هي عليه الآن لاستطاع نسيم الهواء البسيط تحريك الصخور ولما استطاع الصخر مقاومة أقل جهد يُبذل عليه، وفي عالم كهذا نكون معرضين باستمرار لقصف كل أنواع الأشياء.

ولو كانت العطالة أكبر مما هي عليه الآن لوجدنا صعوبة بالغة في تحريك أصابعنا، ولو استطعنا تحريكها سيكون التحكم بسرعتها واتجاهها ضرب من المستحيل.

وهذا يعني أننا لن نتحرك ولن نقوم بعمل أي نشاطٍ يُذكر!

ولن يغادر الإنسان الأول مكان ظهوره ولن تغادر الأجنة -إذا استطاعت التشكل أصلاً- الأرحام إلا بجهدٍ جهيد!

لذا من المثير أن مقدار عطالة المادة يجب أن تكون مطابقة لما هي عليه الآن!

والأمر الذي أدهش الفيزيائيين -خاصةً دينيس سياما في كتابه Unity of the Universe - أن كتلة مجرة درب التبانة لا تشارك في ضبط العطالة إلا بنسبة ٠,١ بالمليون، بينما كتلة الأرض لا تضبط العطالة إلا بنسبة ٠,٠٠١ بالمليون.

وهذا يدفعنا للقول بأن العطالة المثالية التي نحيا على ثمارها والتي من خلالها نمارس كل أنشطتنا هي نتاج مجموع طاقة الكون ككل.

وهذا يدفعنا واقعيًا للقول بأن وجودنا يعتمد بدقة على كتلة الكون ووجود الكون ككل!

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص:٢٧].

وكلما توّسع العلم ظهرت عجائب الحكمة ودقائق الخلق![١].

٧- بعض الملاحدة ينتقد دليل العناية فيقول هناك أشياء غير مثالية مثل: الأمراض والزلازل؟

---

(١) ناقَش هذه المسألة بالتفصيل مايكل دانتون في كتابه قدر الطبيعة والكتاب مترجم من إصدارات دار الكاتب.

✍ عدم وجود أشياء متقنة في الكون على حد تعبير الملحد لا ينفي وجود الإتقان.

فهو بذلك يؤكد وجود الإتقان في الكون.

فلو لم يكن ثمة إتقان أصلاً لما أدرك الملحد وجود أشياء غير متقنة.

فكيف تتحدث عن عيب في التصميم في عالم بلا تصميم؟

أما ما يصفونه بأنه غير مُتقن فهذا قصور في العلم أو قصور في إدراك الحكمة من الأشياء.

فالمؤمنون لا يقولون أن الكون متقن فلا تقع فيه مصائب، وإنما يقولون أن الكون متقن فلا يقع فيه شيء بلا غاية.

وموقف الملحد شبيه بمن ينفي الاتقان عن مركبة الفضاء لوجود كمية ضخمة من المواد البترولية فيها والتي قد تُفجر المركبة في أية لحظة![1].

والعالَم لم يُصمَم ليكون عالم أبدي أو أزلي أو لنصير آلهة؟

بل نحن مُصممون لنبتلى بالخير والشر ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥].

وكل هذا يدور في إطار الغاية والحكمة.

٨- من البديهي أن الله لا يحتاج إلينا فلماذا خلقنا؟

✍ فكرة أن الحاجة يقابلها العبث هي فكرة سخيفة!

فالحاجة يقابلها الحكمة لا العبث.

فالطبيب الثري صاحب الصيت الطيب قد يعالج الناس دون أن يحتاج منهم شيئًا، بل يعالجهم لمصلحتهم هم وهنا نحن لا نصف فعله بأنه عبث!

فالحكمة والمقصد العظيم من وراء الفعل لا يدوران في حلقة الحاجة/ العبث!

---

(١) ظاهرة نقد الدين في الفلسفة الحديثة، د. سلطان العميري، رسالة دكتوراه.

وقد ينقذ أحد السباحين طفلاً رحمةً به ثم يتركه ويذهب دون انتظار ثناء أهل الطفل، وهنا فعله لا يُصنف حاجةً ولا عبثًا بل هل فعل كريم ومقصد نبيل وخلق طيب!

فلا تلازم بين الاحتياج وبين العبث![1].

وفي صحيح مسلم في الحديث القدسي: «**يا عبادي لو أنَّ أوَّلَكم وآخرَكم وإنسَكم وجنَّكم كانوا على أفجَرِ قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم ما نقصَ ذلِكَ مِن مُلْكي شيئًا ولو كانوا على أتقَى قلبِ رجُلٍ واحدٍ منكُم ما زادَ ذلِكَ في مُلْكي شيئًا ولو قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني فأعطيتُ كلَّ واحدٍ مسألتَهُ ما نقصَ ذلِكَ مِمَّا عندي شيئًا**».

فالله غني عن العالمين، وما سعينا وجهدنا وعملنا إلا لأنفسنا ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [العنكبوت:٦].

وجهل المريض بحكمة الطبيب لا يعني أن قرارات الطبيب عبثية.

فالعلم بالحكمة الإلهية لا يشترط له فهم كل أبعاد الحكمة وإنما يكفي فهم بعضها!

فيكفي أن نعلم أننا مُكلفون وأن نعلم التكليف ولوازمه وأن نعلم وجود الحكمة الإلهية، فهذا يكفينا من حيث الجملة، وإلا نكون كالذي يكفر بما لا يفهمه {﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ ﴾ [يونس:٣٩].

فالله حكيمٌ وخلقنا لحكمةٍ سبحانه.

٩- هل الاستدلال على الخالق هو استخدام لأدلة الخبرة البشرية ؟

أدلة الخلق تقوم على استدلال فطري إثباتي وعلم يقيني من مقدماتٍ ضرورية.

فالقرآن في الاستدلال على الخلق لا يسلك مسلك الاستدلال بالقياس.

والقياس: يثبت المعاني ثم يستخرج منها الحكم.

بينما الاستدلال على الخلق يعتمد على النظر المباشر والدلالة الرصدية.

---

(١) ظاهرة نقد الدين في الفلسفة الحديثة، د. سلطان العميري، رسالة دكتوراه.

قال الله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الطور:٣٥] هنا حصرت الآية الكريمة سبب وجودهم في ثلاث: إما أنهم جاؤوا من غير شيء وهذا ممتنع إذ العدم لا يوجِد شيئًا وهو أصلاً غير موجود ليوجِد غيره، وإما أنهم أوجدوا أنفسهم وهذا ممتنع فهذا تناقض ظاهر، ويبقى الحل الثالث وهو أن لهم خالقًا خلقهم.

فهذا استدلال عقلي أولي وليس قياسًا على شيء حتى نقول أنه مبني على مجرد الخبرة البشرية.

وإن كنا لا نرى في الاستدلال بالخبرة البشرية قدحًا، فكل علوم العالم مبناها الخبرة البشرية.

وعندما قلنا أن الكون موجود وهو غير مكتفٍ بذاته إذن له موجِد، وكل شيء في الكون جاء بثوابت فيزيائية مبهرة وضبط دقيق، إذن لابد من صانع وخالق، فهنا نحن استخدمنا مقدمات أولية مباشرة وليس قياساتٍ عقلية أو خبراتٍ بشرية.

فالسببية كأحد أدلتنا على الخالق سبحانه لا تعتمد على الحس والاستقراء وإنما هي مبدأ عقلي يستند إلى الضرورات العقلية اليقينية الأولية.

۞ ١٠- ما المانع أن يكون هناك سبب مادي خلَق الكون؛ مثلاً: حضارة أخرى أو شيء آخر؟ لماذا الإله الأزلي تحديدًا؟

✍ هناك قاعدة أسّس لها علماء الإسلام منذ أكثر من ألف عامٍ تقريبًا هذه القاعدة تقول أن: «التسلسل في الفاعلين يؤدي بالضرورة إلى عدم وقوع الأفعال»[1].

التسلسل في الفاعلين: أي وجود أكثر من خالق، وفي هذا السؤال عندنا حضارة أخرى وحضارة سبقتها أنتجتها وحضارة سبقتهم أنتجتهم وهكذا، فهناك تسلسل في الخالقين.

هذا التسلسل يؤدي بالضرورة إلى عدم وقوع أفعال.

عدم وقوع أفعال: أي عدم ظهور مخلوقات مثل الكون والإنسان وغيرهم.

---

(١) مصدر سابق.

فالتسلسل في الفاعلين يؤدي إلى عدم ظهور الكون والوجود.

فلو أن إحدى الحضارات يتوقف ظهورها على حضارة أخرى أنشأتها والحضارة الأخرى يتوقف ظهورها على حضارة سابقة عليها أنشأتها وهكذا إلى ما لا نهاية، فلن تظهر هذه الحضارة ولا التي تسبقها ولا التي تسبقهما ولن يظهر الوجود ولا شيء.

فلابد من خالق أول أزلي أوجد كل شيء!

ولو أردنا مثالاً تبسيطيًا آخر نقول: عندنا مجموعة من أحجار الدومينو متّراصة يلي بعضها بعضًا بحيث لو سقط حجر ستسقط بقية الأحجار بالتتابع. هنا نقول لو أن حجر الدومينو لن يقع إلا لو وقع حجر قبله والحجر الذي قبله لا يقع إلا لو وقع الذي قبله وهكذا فلن يقع أي حجر إلا لو كان لسلسلة أحجار الدومينو بداية.

فلو كانت أحجار الدومينو لانهائية ما وقع أي حجر.

فلو كان تسلسل لا نهائي لن توجد مخلوقات ولا خلق ولا موجودات لأن الفاعل سيتوقف وجوده على فاعل يسبقه وبالتالي لن يظهر فعله إلا بعد ظهوره، وظهوره يتوقف على غيره وغيره يتوقف على غيره وهكذا، فإذا كانت السلسلة لانهائية ما كان هناك خلق ولا موجودات ولا أفعال ولا مفعولات.

فلابد من مبتديء للخلق خالق موجِد أول.

فالممكن المفتقر لابد له من موجِد فلو قلنا بأنهم كلهم ممكن مفتقر ما ظهر منهم أحد، إذ لابد أن تتوقف السلسلة عند حد.

وهنا نجزم بالخالق الأول الذي لا يسبقه شيء!

۞١١- نحن نعرف القوانين التي تحكم الكون ونعرف سبب الزلازل جيدًا، فلماذا نحتاج إلى الخالق طالما عرفنا القوانين؟

✍ يفترض الملحد أن القوانين تكفي لخلق الكون وظهوره، وقد اعتمد ستيفن هاوكنج على هذه المقدمة فافترض أن قانون الجاذبية يكفي لظهور الكون، كما أوضح ذلك في كتابه الأخير "التصميم العظيم" [١].

وقد انتشر تقرير هاوكنج في الصحف العالمية وتناقلته وسائل الأنباء، وتداولته المواقع الشعبية بكثافة!

وبغض النظر عن سقوط هذا الزعم ذاتيًا بمجرد التفكير في مصدر قانون الجاذبية، أو مَن الذي قننه ومَن الذي أعطاه صفة التدخل وإظهار الأثر؟

بغض النظر عن هذه البديهيات الأولية فإن قوانين الجاذبية لا تؤدي إلى دحرجة كرة البلياردو!

فالقانون وحده عاجز عن أي شيء بدون ظهور الشيء!

فقانون الجاذبية لن يُنتج كرة بلياردو وإنما فقط يُحركها إذا ظهرت وضُربت بعصا البلياردو.

فقانون الجاذبية ليس شيئًا مستقلاً وإنما هو وصف لحدث طبيعي!

وقانون الجاذبية لن يُحرِّك كرة البلياردو دون قوة تضغط على عصا البلياردو وتحركها وهنا فقط تتحرك كرة البلياردو ويظهر أثر قانون الجاذبية!

لكن الملحد يفترض أن وجود قوانين الجاذبية تكفي لخلق كرة البلياردو وعصا البلياردو ودحرجة الكرة.

أيهما أكثر قربًا من العقل والمنطق: الدين أم الإلحاد؟

وبالمثل قوانين الإحتراق الداخلي في موتور السيارة لن تخلق موتور سيارة.

---

(١) – التصميم العظيم(٢٠١٠) ستيفن هاوكينج.

ولو أضفنا قوانين الإحتراق الداخلي إلى موتور السيارة فإن الموتور أيضًا لن يعمل، فلابد من البنزين الذي يعطي طاقة، ولابد من شرارة الاحتراق ولابد قبل ذلك من وجود الموتور. وهنا فحسب تظهر قوانين الإحتراق الداخلي ويعمل الموتور!

فليس من العقل افتراض أن قوانين الاحتراق الداخلي تكفي لخلق الموتور وشرارة الاحتراق والبنزين والسائق والطريق.

ثم إن هذا الافتراض سيدخلنا في تسلسل الفاعلين الذي شرحناه في إجابة السؤال السابق.

۞١٢- ما المانع أن يكون مصدر الكون هو الصدفة؟

✍ القول بالصدفة هو جهل بأصول الاحتمالات؛ لأن الصدفة لها شرطان لا ينفكان عنها.

وهما: الزمان والمكان.

فالصدفة تشترط زمان تقوم فيه بإحداث أثرها.

وتشترط وجود مادي مكاني تقوم عليه ليُنتج مفعولها.

فكيف نقول بدور للصدفة في إيجاد الكون، مع أن كوننا جاء من اللازمان واللامكان؟

كيف يظهر أثر الصدفة دون ظهور الصدفة نفسها؟

كيف تُعطي الصدفة أثرًا قبل وجودها ووجود الزمان ووجود المكان اللذان هما شرطا الصدفة الأساسيان؟

۞١٣- كيف نرد على الملحد الذي يقول أن الكون تطور؟

✍ العلم لا يقول بانتقال العالم من عناصر بسيطة إلى عناصر أكثر تعقيدًا!

بل يقول بالعكس تماماً.

العلم يقول بانتقال العالم من التعقيد التام إلى التبسيط عبر الزمن.

وهو ما يُعرف بالقانون الثاني للديناميكا الحرارية Second Law of Thermodynamic ولتبسيط هذا القانون:

فأنت لو كان عندك كوب ماء ساخن في الغرفة فإن الحرارة ستنتقل من الماء الساخن إلى جو الغرفة حتى تعادل درجة حرارة الغرفة درجة حرارة الكوب، وهكذا يسري هذا القانون على كل شيء في الكون وفي لحظةٍ ما ستتعادل حرارة كل شيء في الكون وعند هذه اللحظة سيحدث الموت الحراري للكون Thermal Death of Universe.

ولو كان الكون أزليًا لكان المفترض أن يصبح الكون متوقف الآن –ميت حراريًا–، لكن في الواقع الكون الآن في حالة أقل من الانتروبي القصوى، ولم يصل للموت الحراري بعد إذن هو ليس أزليًا، وله بداية ثابتة ظهر معها الزمان والمكان.

بل لقد ظهر الكون عند الحد الأدنى من الأنتروبي، وهذا يعني أنه حدوثه على غير مثالٍ سابق –مُبدَع–.

بالمناسبة هذا قانون وليس نظرية!

وهو يسري على كل شيء، على الذرة وعلى المجرة!

وهذا القانون جوهري في إثبات أن فكرة اتجاه جزئيات العالم نحو التعقيد كما يتخيل الملاحدة هي فكرة وهمية لا توجد في الواقع!

فالكون يسير نحو التبسيط لا التعقيد.

۞ ١٤- كيف علمنا أن لحظة ظهور الكون كانت بناءً على قانون السببية؟ أو بصيغة أخرى: هل قانون السببية ينطبق على خارج الكون؟

✍ نحن نقول بقانون السببية على الإيجاد لأنه قانون أولي.

وبما أن الكون موجود إذن هناك مؤثِر أوجده.

وقد ثبت علميًا مؤخرًا أن الكون أوجِد على يد مشغِل أوجده، فيما يعرف بـoperatoer formulation of Quantum mechanics

Operator: تعني مشغِل.

فلابد من مشغِل طبقًا لميكانيك الكم.

وإلا ما ظهر الكون!

وهذا يعني أن قانون الحدوث والسببية ينطبق على الكون ذاته لحظة ظهوره.

١٥- لكن لماذا لا ينطبق قانون السببية على الخالق؟ أو بصيغةٍ أخرى: مَن الذي خلق الخالق؟

أولاً: الخالق لا تنطبق عليه قوانين مخلوقاته وهذا بديهي.

وإلا لقلنا: مَن الذي طبخ الطباخ؟

ومَن الذي دَهن الدهّان؟

فالخالق من البديهي أنه موجِد الزمان والمكان فلا تنطبق عليه قوانين هو الذي أوجدها سبحانه!

ثانيًا: كل شيء حادث له محدِث، هذا صحيح؛ لكن الخالق ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ [الشورى:١١] وليس حادث.

ثالثًا: لابد أن يكون الخالق أزليًا واجب الوجود وإلا عدنا إلى مشكلة "التسلسل في الفاعلين الذي يؤدي بالضرورة إلى عدم وقوع أفعال" وهذا شرحناه قبل قليل بالتفصيل.

١٦- لماذا لا يكون أكثر من خالق أزلي؟

قال الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ﴾ [الأنبياء:٢٢].

١٧- لكن ما المانع العقلي من أن يكون هناك إلهين ويتفقا -بحيث لا يتعارض قراريهما-؟

القضية ليست بفساد الكون لاتخاذ قرارين متعارضين.

أو لأنه يمكن أن يتفقا فلا يفسد الكون.

القضية العقلية التي تقدمها الآية الكريمة أبعد وأشمل من ذلك بكثير!

وجود إله مع الله يقتضي التركيب -تعدد الجواهر أو العلل-.

والتركيب يستلزم الافتقار.

والافتقار على الخالق -حاشاه سبحانه- يستلزم عدم أمان الكون وأنه قد ينهار.

فلا ضمان لبقاء الكون مع إله مفتقر!

ولا ضمان لعدم فساد السماوات والأرض في أية لحظة مع إله مفتقر!

﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٢].

تنزه الباري عن التركيب والافتقار فهو الغني القيوم سبحانه.

أضف إلى ما سبق: أنه لو كان فيهما إلهين أو أكثر فإمكان التعارض بالفعل أقرب عقلاً من التوافق لأن أكثر من إله يعني أكثر من جوهر وأكثر من مشيئة وأكثر من إرادة، وتعدد الإرادات يعني إفتقار كل أحد، والافتقار يقتضي التعارض عقلاً!

١٨- لماذا الدين؟

أشرس ملحد يؤمن أن الصدق أفضل من الكذب، أليس كذلك؟

أشرس ملحد يؤمن أن الأمانة أفضل من الخيانة، أليس كذلك؟

هذه مصطلحات ليست من هذا العالم وليس في العالم المادي ما يبرر معناها ولا مقتضاها.

فما معنى الصدق؟

ما معنى الكذب؟

هل لو قمنا بتحليل أعماق الذرة سنرصد معانٍ مثل الصدق أو الكذب؟

هل لو رصدنا فيزياء المجرات أو كيمياء الهرمونات سنرصد الأمانة أو الخيانة؟

هذه مصطلحات ليست من هذا العالم المادي.

لكنها مصطلحات حقيقية.

بل هي أهم شيء في الوجود على الاطلاق.

فقيمة الانسان بأخلاقه وليس بحجمه المادي ولا بعدد ذراته ولا بمستوى طاقة خلاياه.

قيمة الإنسان بالتكليف الإلهي داخله.

فهناك رجلٌ صالح ورجلٌ فاسد.

لكن لا يوجد جبلٌ صالح وجبل فاسدٌ.

ولا نرصد كوكبًا أمينًا وكوكبًا خائنًا.

الإنسان فقط هو معنى القيمة ومعنى الغاية ومعنى الوجود.

الإنسان فقط هو الذي يستوعب الوجود.

١٩- ما المانع أن تكون هذه الأخلاق نتاج دماغ أو مجتمع؟

يتكون الدماغ من نفس المكونات المادية بالضبط!

مهما تعقد الدماغ أو تعقدت التركيبات المادية فمجموع الأصفار لن ينتج إلا صفرًا مهما تضخم عدد الأصفار أو تراكب فوق بعضه.

إذا كانت المادة لا تعرف خيرًا ولا شرًا فالدماغ كذلك!

وهنا السؤال: كيف وصل مفهوم الخير والشر إلى الدماغ؟

ما هو المانع الدماغي من إبادة أهل الأرض جميعًا؟

ما هو المانع الدماغي من إدخال الأعراق البشرية الأدنى أقفاص حيوانات؟

ما هو المانع الدماغي من تدمير كل المرضى والمعاقين في مشروع الانتخاب الطبيعي الذي قام به النازي مشروع أكشن تي فور؟[١].

هذه الإسئلة لا يملك الدماغ المادي جوابًا عنها بالتخطئة أو التصحيح.

فالدماغ محايد تمامًا من الناحية الأخلاقية.

لأنه يتركب من نفس ذرات الأرض.

---

(١) https://en.wikipedia.org/wiki/Aktion_T٤.

فلا علاقة بين الدماغ وبين الأخلاق من قريبٍ أو بعيد.

أما فكرة أن المجتمع منشأ الأخلاق هي فكرة غريبة، لأن الأخلاق ذاتية، ولأنها تعني الإنسان كإنسان وليس المجتمع كمجتمع.

ولو صح هذا الكلام، واعتبرنا أن الأخلاق نتاج مجتمع، لأصبح النازي مصيبًا في إبادة غيره لأن المجتمع يرى ذلك.

لذلك الصحيح أن الأخلاق مستقلة عن المجتمع.

فالصواب صواب عند المجتمع الصالح والمجتمع الفاسد.

والخطأ خطأ عند المجتمع الصالح والمجتمع الفاسد.

فالأخلاق لها معنىً يتجاوز الدماغ والمجتمع.

۞ ٢٠- ما علاقة الدين بموضوع الأخلاق؟

✍ الوحيد الذي يبرر معنى الأخلاق هو الدين.

الوحيد الذي يعطي للأخلاق صبغتها هو الدين.

والأخلاق لا يمكن فهمها إلا في إطار التكليف الإلهي.

والدين هو نبض الوجود الأوحد.

فمن خلال الدين نعرف غاية الوجود.

ونعرف لماذا نحن هنا؟

وماذا بعد الموت؟

ومعنى الوجود.

وما المطلوب منّا في الوجود؟

أما بدون الدين فالعالم كله يتحول إلى عماء كامل وعدمية تامة.

يقول ابن القيم رحمه الله: «لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم،

ولا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاءوا به»(١).

فالدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة؛ كما يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله(٢).

فبدون الرسالات لا تُعرف غاية الوجود ولا معنى الخير ولا قيمته.

وبغير الرسالات يتحول العالم إلى عبثية مخيفة.

فأنت بدون النبوات نفاية نجمية كما يقول كارل ساغان، وحشرة كما يقول سارتر(٣).

فالنبوة هي نبض الوجود الأوحد، وبدون النبوة تتحول أروع المخترعات وأمتع الشهوات إلى رعب!

بدون الدين يتحول العالم إلى هباء.

وأنت لو سألت أي ملحد عن أي سؤال وجودي مثل: لماذا نحن هنا في هذا العالم أو ماذا بعد الموت؟

فإنه إما أن يسفسط سؤالك أو يلتزم الخرس التام.

---

(١) زاد المعاد١-٦٨

(٢) مجموع الفتاوى ١٩-٩٣،٩٤

(٣)Video Source: The Shores of the Cosmic Ocean [Episode ١]

Some part of our being knows this is where we came from. We long to return. And we can. Because the cosmos is also within us. We're made of star-stuff. We are a way for the cosmos to know itself. ٠٦ min ٠٤ sec

أما كون الإنسان حشرة فقد ذكر ذلك سارتر في روايته غثيان.

إذن الدين مقتضى طبيعي للنظر في القيم الاخلاقية وفي جواب معنى الوجود وفي جواب سؤال من الذي أوجد الوجود وأوجد الانسان والغاية من الوجود والحكمة من أفعال الموجودات.

٢١- الكون ضخم جدًا والكرة الأرضية صغيرة مقارنةً به، فلماذا يهتم الله بهذه الكرة الصغيرة في هذا الكون الفسيح؟

هل عندما نقول أن الملك أوصى لابنه ببعض الوصايا والنصائح وكَتب له في ذلك كتاباً، هل يمكن أن يأتي معترض ويقول: كيف لملك يملك ملايين الأفندة والأراضي الشاسعة التي لا حصر لها، أن يهتم بابنه الذي لا يبلغ حجمه ووزنه واحد على مليار مليار مما يملك الملك–ولله المثل الأعلى–من الأفدنة والأراضي؟

هل هذا اعتراض عاقل أو يمكن أن يُلتفت إليه؟

فافتراض أن ضخامة حجم الشيء أو ضآلته مؤثر في المسألة، هو افتراض ساذج!

ثم إننا نحن البشر العبرة عندنا ليست بالحجم الحسي للإنسان –وزنه– وإنما بالحجم المعنوي لأشياء بلا حجم كالأخلاق والصدق والأمانة.

فالفرق بين أعظم البشر الذين أقاموا أعظم الحضارات وبين أدناهم هو فرق معنوي لا مادي –مثل ملكة القيادة وحسن العمل ونبل الأخلاق–، ولو كان للحجم في ميزان الله اعتبار لكانت السماوات والأرض أولى بحمل الأمانة!

ثم إن الحيتان أضخم من الميكروبات بمليارات المرات، فهل هذا يعني أن الحيتان أهم من الميكروبات؟ وما معنى كلمة "أهم" هنا؟

وهل الله يهتم بالكائن الضخم لضخامته ولا يهتم بالكائن الصغير؟

أم أنه كفل للجميع الرزق والنظام الأنسب؟

ثم إن الحجم في الأصل نسبي كما علمتنا الفيزياء، فالفيزياء تخبرنا أن السماواتِ والأرضَ مصدرهما نقطة أصغر من رأس الدبوس –أصغر من الذرة بمليارات المرات–.

إذن القضية ليست بالأحجام ولا الحكم على الأشياء يكون بالأحجام والأوزان والأثقال.

القضية هي إدراك هذه الأشياء واستيعابها!

والآن هل ثمة شيءٍ يستوعب الخلق والتكليف والحكمة والصنع والمعنى والغاية سوى الإنسان؟

٢٢– يوجد أكثر من إله في حضارات الأرض، فلماذا تقولون الله تحديدًا؟

لا يوجد معبود في كل ديانات الأرض إلا الله.

وخلافنا مع بقية الديانات أنهم اتخذوا مع الله آلهة صغيرة مثل يسوع والروح القدس في النصرانية وفشنو وشيفا وبراهما في الهندوسية ..إلخ

فالديانات كلها تؤمن بالله الواحد الأحد وهو عندها خالق الوجود.

لكنهم يجعلون مع الله آلهةً أخرى لا أكثر.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦١].

فحتى أوثان المشركين لم يتخذوها آلهةً لذاتها وإنما يُسلِّمون أن الله هو الخالق لكنهم يجعلون له وسائط.

يقول الشهرستاني عن أوثان العرب قديمًا: «أما الأصنام فلم يكن العرب يعبدونها لذاتها، ولم تكن عندهم مجرد قطعة من حجر».

ويقرر ول ديورانت أن أصل وثنية الهندوس يعود في الإخير إلى الإيمان بالله الواحد الأحد.

فيقول: «هذه الألوف من الآلهة هي نفس ما تفعله الكنائس المسيحية من تقديس لآلاف القديسين فلا يتطرق إلى ذهن الهندي ولو للحظة واحدة أن هذه الآلهة التي لا حصر لعددها لها السيادة العليا»(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن ظن في عباد الأصنام أنهم كانوا يعتقدون أنها تخلق العالم أو أنها تنزل المطر أو أنها تنبت النبات أو تخلق الحيوان أو غير ذلك، فهو جاهل بهم بل كان قصد عباد الأوثان لأوثانهم من جنس قصد المشركين بالقبور للقبور المعظمة عندهم»(٢).

فالله واحد في كل ديانات الأرض ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٦].

فما الأوثان والآلهة البشرية إلا وسائط كفرية لله، ما أنزل الله بها من سلطان.

٢٣- هناك أديان كثيرة فلماذا الإسلام؟

الإسلام ليس دين بين الديانات.

الإسلام يوافق في عقيدته عقيدة جميع أنبياء العهد القديم.

فالإسلام هو تصحيح لمسار الديانات التي انحرفت، وإعادة لنهج أنبياء العهد القديم من لدن آدم إلى نوح وصالح وأيوب وهود وإبراهيم وموسى وداوود ويونس وهارون وعيسى، فعقيدة هؤلاء جميعا هي عقيدة الرب إلهنا ربٌ واحد بلفظ التوارة والإنجيل(٣).

هذه العقيدة التي لا تعرف تثليثًا ولا أقانيم ولا موت آلهة منتحرة ولا انتزاع آلهة من آلهة أخرى - انتزاع الروح القدس من الآب - ولا آلهة قومية .

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت، مجلد٣ ص٢٠٩.

(٢) مجموع الفتاوى ١-٣٥٩.

(٣) سفر التثنية ٦-٤ وإنجيل مرقس١٢-٣٢

يقول الله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى:١٣].

وقال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾ [النساء:١٦٣].

فالإسلام ليس ديانة كالديانات وإنما هو أصل الديانات وتصحيح للخلل الذي أصاب الديانات، وبالأخص اليهودية والمسيحية في نسختيهما العهد القديم والجديد.

۞ ٢٤- كيف نستدل علميًا على وجود الغيب "جبريل على سبيل المثال"؟

✍ الإيمان بسيدنا جبريل عليه السلام أو بأية قضية غيبية خارج حدود الزمان والمكان بداهةً، وبالتالي لا يخضع لقوانين المادة.

والإيمان به يعود إلى التسليم بصدق الرسالة بشواهدها القطعية!

فإذا ثبتت صحة الرسالة ثبت كل غيب تخبر به.

فمَن قامت البراهين والآيات على صدقه فيما يبلغه عن الله كان صادقاً في كل ما يخبر به عن الله(١).

فنحن نؤمن بالمُغيبات تبعاً لإيماننا بالرسالة الدينية وليس إيماناً مُستقلاً !

۞ ٢٥- إذا كان الإسلام هو دين الحق لماذا توجد شبهات؟

✍ قال الله عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ

---

(١) الجواب الصحيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، مجلد ٢- ص٣٤

وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:٧].

فمن الطبيعي أن يكون هناك متشابه ومحكم.

حتى يتبع الذي يريد الزيغ ما يُرضي به زيغه ويتبع المحق الحق!

فالحق أبلج لكن لابد من وجود متشابه لأن المتشابه تكملة للاختبار حتى تتفكر وتتدبر ويكون هناك كفر وإيمان.

لكن أصول الإيمان يقينية قطعية، ويأتي المتشابه في فهم نص أو دلالة أثر أو مقتضى حكم شرعي!

فسنة الله في خلقه التكليف، وسنته في التكليف خفاء الحكمة، وسنته في الحكمة دقائقها، والفائزُ مَن استدل بما يعلم على ما خفي ودقّ، والخاسر من جعل مما يجهل حجابًا يحرمه من الاستدلال بما يعلم.

٢٦- ما الذي تعيبونه على الإلحاد؟

الإلحاد يتطلب إيمان أعلى بكثير من الإيمان الديني.

لكنه إيمان مبني على الفروض الكاذبة والخيالات السخيفة.

فحتى تلحد عليك أن تتخيل أن:

أ- اللاشيء انضاف إلى اللاشيء فصار شيئًا عظيمًا من أروع ما يكون وبمنتهى المعايرة الدقيقة.

ب- الصدفة أنتجت الحدود الحرجة والثوابت الفيزيائية التي جاء بها الكون؛ في حين أن شرطي الصدفة هما المكان والزمان، والكون جاء من اللامكان واللازمان!

ج- العشوائية أنتجت حياة، في حين أن العقل البشري في قمة جبروته الآن لا يستطيع أن يُنتج أبسط صور الحياة.

د- كل القيم الأخلاقية والتأصيلات القيمية التي نُسلم بصحتها والتي يسير أغلبها في اتجاه مضاد للمادة تمامًا –فالأخلاق الأصلية عبء مادي وخسارة على المستوى المصلحي- هي من معطيات المادة ومنتوجاتها.

هذه المحالات العقلية عليك أن تؤمن بها حتى تصير ملحدًا

فالإلحاد مبناه على الإيمان أيضًا، لكن إيمان بلا أثارة من علمٍ أو نقل.

٢٧- بما أن الله يعلم أن هناك أشخاص سيلحدون فلماذا خلقهم؟

انظر إلى قول الله عز وجل﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الزخرف:٥].

هل بما أنكم ستكفرون في علم الله إذن لا يخلقكم الله؟

ما هذا التصور السخيف؟

الذي يستحق المؤاخذة والعقاب من العدل أن يُخلق ثم يذهب لما يستحق!

إذا كان الملحد يستحق الكفر في علم الله فما المانع من خلقه ثم محاسبته ؟

هل بما أنه سيكفر إذن يريحه ولا يخلقه ؟

أليس هذا محض تحكم وافتراض ساذج؟

إذا كان الملحد يستحق الخلود في النار فمن العدل أن يذهب لما يستحق.

ثم إن معيارنا للحكم على العدل ليس معيار مطلق، بل معيار محدود بحدود طبيعتنا البشرية، والعدل المطلق هو الله سبحانه وتعالى وأخبر أنه لن يظلم عباده ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [ق:٢٩].

فيكون هذا هو المرجع فيما قصرنا عن استيعابه، وهذا أسلم عقلاً، لأن أصل الكفر هو التكذيب بما لم نحط بعلمه﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾ [يونس:٣٩].

٢٨- هل علم الله بأن فلانًا سيُلحد هو جبرٌ له على الإلحاد؟

✍ علم الله بما سيقع ليس جبرًا.

تخيل أستاذًا دخل أحد الفصول وقبل نهاية العام قال هيثم سينجح وفلان سيفشل بحكم خبرته ومعرفته بمستوى طلبته، وكتب توقعاته تلك في كتابٍ عنده، وكانت النتيجة كما قال وكتب.

هل نقول أن معرفته بنتيجة الطلبة كانت جبرًا لهم؟

هل نقول أن كتابته لما توقعه إكراه؟

ولله المثل الأعلى.

فالله سبحانه أخبر أنه عليم وفي نفس الوقت أثبت لنا المشيئة وحرية الاختيار﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ ﴾ [التكوير:٢٨].

وقال سبحانه: ﴿ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠ ﴾ [البلد:١٠].

فمعرفة الله بما سيقع ليس جبرًا لنا.

فالله عز وجل أراد أن تكون لنا إراده وأراد أن نختار ﴿ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان:٣].

والله هو مَن قال أنه يعلم كل شيء وفي نفس الوقت قال: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠ ﴾ [الليل: ٥-١٠].

وأيضًا قال سبحانه ﴿ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴾ [البلد:١٠].

أما كون الملحد يريد أن يجعل من علم الله مانعًا لإرداة الإنسان فهو بذلك يُعطل أحد أفعال الله على حساب فعل آخر وهذا حال كل كافر حتى يستقيم له كفره، أما المسلم فيُسلم بكل أفعال الله وأنها كلها واقعة.

٢٩- لماذا خلق الله الشر؟ أو بمعنى آخر: كيف يرد المسلم على "معضلة الشر"؟

✍ معضلة الشر هي معضلة نصرانية لا علاقة لها بالإسلام، فمن الخطأ نقل الإشكالات الكنسية الغربية إلى ثقافتنا الإسلامية.

ففي التراث النصراني المحرف جاء يسوع من أجل الخطيئة الأصلية التي ارتكبها آدم والتي كانت سببًا في كل الشر في العالم، وقام يسوع بتكفير هذه الخطيئة عبر الفداء والصلب على الصليب، وبالتالي فالمفترض أن ينتهي الشر من العالم لأن يسوع المحبة افتدانا، والمفترض أن تختفي آثار الخطيئة الأصلية التي كانت مصدرًا لكل الشر في العالم.

لكن الشر والبلاء والمصائب ما زالت موجودة، وبنفس الوتيرة التي كانت عليها قبل صلب يسوع!

إذن أين المحبة؟ أين الفداء؟

هذه الإشكالية الكبرى هي مصدر "معضلة الشر" في العقل الغربي النصراني المعاصر!

ما علاقة المسلمين بكل هذا؟

ما علاقة عقيدة جميع الأنبياء بكل هذا الهراء؟

الشر في الإسلام وفي شرائع الأنبياء لأننا مُكلفون.

لأننا في عالم اختباري!

انتهى.

﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الأنبياء:٣٥].

والمسيح عليه السلام لم يأتِ من أجل خطيئة آدم، والأناجيل الأربعة التي بين أيدي النصارى اليوم لم ترد فيها كلمة "آدم" ولو لمرةٍ واحدة، وخطيئة آدم رفعها الله بتوبته "فتاب عليه" ولم يرث أحد من البشر خطيئةً من آدم ولا من غيره ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [النجم:٣٨].

هذه هي عقيدة الأنبياء.

ونحن هنا لأننا مكلفون لا أكثر ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ ﴾ [الملك:٢].

والشر أمر طبيعي في إطار التكليف!

بل من المدهش أن وجود الشر هو أكبر دليل على صحة القضية الدينية وعلى خطأ الإلحاد.

إذ أننا لو كنا أبناء العالم المادي لما استوعبنا لا الخير ولا الشر، لأننا طبقًا للرؤية الإلحادية نسير في حتمياتٍ ماديةٍ صارمة.

فاستيعاب الشر يعني أننا لسنا أبناء هذا العالم، وأننا نستمد استيعابنا لوجود الشر من مقدمةٍ أخرى غير المقدمة المادية الداروينية للوجود!

وعدم إدراكنا لبعض دقائق الحكمة الإلهية في مسألة البلاء –وليس الشر لأنه لا يوجد شر محض في الوجود– هذا أمر بديهي، يقول ديكارت في كتابه التأملات: «ليس لدي أدنى سبب يجعلني أتذمر من أن الله لم يمنحني قدرة أعظم على الفهم».

فقوام التكليف على الحكمة وقوام الحكمة على الخفاء!

وقد جلَّى الله الحِكمة من أفعال الخضر لسيدنا موسى –عليه السلام–، مع أنها أفعالٌ تُعد ظاهريًا مُنكرة وغير مستساغة، لكنها تكتنف على خيرٍ عظيم، وقصة موسى والخضر لم تأت في القرآن من باب السرد والحكايا، لكن من باب التدبر والإقرار بقصور النفس البشرية وحكمها المُتعجل.

وحياتنا الدنيا هي مقدمة لخلودٍ أبدي، ولذا فأقسى آلام القتل يتمنى الشهيد أن يعود إليها بعد أن رأى أن هذه الخطوات القليلة من الألم هي مفتاح نعيم ورضا لا ينفد.

فسبحان القيوم المدّبّر!

۞٣٠- هل تسبب الدين في الحروب الدينية التي سادت الأرض في فترة من الفترات؟

✍ عاشت البشرية مع شرائع التوحيد آلاف السنين، ومع الشرائع الإبراهيمية الثلاث الكبرى أربعة آلاف سنة، ولم يمثل الدين خطرًا مباشرًا على الجنس البشري بل قدّم للبشرية قيمًا أخلاقيةً عليا يتفق عليها المؤمن والملحد، وأسّس لحضاراتٍ أصيلة، بل يمكن أن نزعم أن كل خير في الأرض هو من آثار تلك النبوات!

فقد أراح الدين المحاكم من آلاف القضايا، وفوق كل هذا وذاك وضع الدين الأساس المعرفي والسلوكي والقيمي لغاية الوجود الإنساني على الأرض!

والدول التي احتضنت الشرائع التوحيدية ما زالت إلى اليوم تملك تنوعًا ثقافيًا أبقى على المخالفين لهم ووفّر لهم سقف حماية بموجب الشرائع التوحيدية ذاتها.

في حين أن قرن واحد اقتربت فيه بعض الدول من الإلحاد كانت البشرية كلها على شفير هلاك!

ثم يأتي الآن الملاحدة ويحدثونا عن خطر الدين على البشرية!

فلم يعرف التاريخ البشري منهجًا أخطر من الإلحاد، فلم تكن مذابح الكولاج في الإتحاد السوفيتي السابق على يد الملحد لينين، وإبادة الأقليات الأثنية في ألمانيا النازية، وتفريغ ربع سكان كمبوديا من البشر على يد الملحد Pol Pot، وقتل ٥٢ مليون صيني في الثورة الثقافية الكبرى على يد الملحد ماو تسي تونج Mao Zedong، وظهور رابطة الملحدين العسكرية League of Militant Atheists في أوربا والتي أغلقت رسميًا ٤٢ ألف مؤسسة دينية –كنائس ومساجد-، وقتلت عشرات الآلاف من المتدينين، إلا إفرازات إلحادية صرفة[1].

---

(١)- https://en.wikipedia.org/wiki/League_of_Militant_Atheists

بل إن الحربين العالميتين الأولى والثانية كانتا حروبًا علمانية –علمانية، تحكمهما تصورات إلحادية للأجناس البشرية وخرافات السعي نحو النقاء العرقي، فكانت النتيجة إبادة قرابة ٥٪ من سكان العالم وأرجعت كلاً من المنتصر والمهزوم ثلث قرن إلى الوراء، وقام الفلاسفة بوضع مبولة في وسط باريس كنايةً عن نهاية الحضارة.

وخلّفت المعارك الإلحادية ترسانات من الأسلحة النووية تكفي لإزالة الجنس البشري كله مراتٍ عديدة.

إن قراءة بسيطة لحروب القرن العشرين تُظهر مدى بؤس الإلحاد.

فقد خلّف الإلحاد ورائه فكرة أن زوال الجنس البشري في أية معركة قادمة هي فكرة قائمة، هذا هو الإفراز الإلحادي المتوقع.

٣١- لكن ألا يوجد الرِق أو السبي في الجهاد الإسلامي؟

الاسترقاق في الإسلام بعكس الثقافات الرومانية القديمة وبعكس التدليس العلماني المعاصر.

الاسترقاق في الإسلام رحمة بالمرأة.

لأن المرأة التي جائت في جيش العدو وتريد استئصال شأفتك لا يجوز لك أن تقاتلها.

فالمرأة لا تُقتل –إلا لو باشرت قتلك–، لأن الإسلام لا يُجيز لك قتل النساء ولا الصبيان(١).

ولا يجيز كذلك قتل الشيوخ ولا أصحاب الحرف ولا الرهبان(٢).

مع أن هؤلاء جميعًا جاؤوا في جيش العدو وفي ساحة المعركة، ومع ذلك لا يجوز التعرض لأحدٍ منهم إلا لو باشر قتلك بيده.

---

(١) صحيح البخاري حديث رقم٣٠١٤.

(٢) السنن الكبرى ج٩ ص٩٠.

فمن رحمة الإسلام بالمرأة أنها لا تُقتل -لأنها ضعيفة ولا تباشر قتل المسلمين في الغالب- بل تُسبى.

والمرأة تُسبى حتى يتم فدائها بأسيرات المسلمين أو العفو عنها وإعادتها للعدو بلا مقابل﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾.

ولاحظ قوله تعالى: حتى تضع الحرب أوزارها، يعني في أرض المعركة، ولاحظ إما منًّا بعد: أي تمُن عليها بأن تُطلق سراحها بلا مقابل، وإما فداء: أي تفديها بالمسلمات اللاتي أسرهن العدو.

لكن هل يجوز نكاح المسبية؟

لا يجوز وطء المشركات، وهذا الذي عليه جماهير أهل العلم، وهو مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد، قال ابن قدامة في المغني: «أن من حرم نكاح حرائرهم من المجوسيات وسائر الكوافر سوى أهل الكتاب لا يباح وطء الإماء منهن بملك اليمين».

وقال ابن عبد البر: «على هذا جماعة فقهاء الأمصار وجمهور العلماء وما خالفه فشذوذ».

قال النووي: «المسبية من عبدة الأوثان وغيرهم من الكفار الذين لا كتاب لهم لا يحل وطؤها بملك اليمين حتى تسلم، فما دامت على دينها فهي محرمة»[١].

فلو كان الأمر شهوة، ما حرُم وطء المشركة.

بل إذا قام أحد المسلمين باغتصاب مسبية سواءً كانت مشركة أو غير مشركة أُقيم عليه حد الزنا[٢].

---

(١) http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaI ٥٠٩٠٢d&Id=

(٢) الأم للشافعي٢٥٣.

ولو كانت المسبية من غير المشركين فلها صورة عقد نكاح، تختلف عن عقد نكاح الزوجة، فالزوجة لها شرط الاختيار فيمن يتقدم لها، أما امرأة مقاتلة جائت مع جيش العدو وتم سبيها فهذه ليس لها شرط اختيار من يتقدم لها.

هذا غاية ما في مسألة الرق والسبي.

٣٢- وماذا عن الحدود -حد السرقة كمثال-؟

القضية ليست لمجرد السرقة بل لما يقترن بها.

ففي الحديث الصحيح قال رسول الله ﷺ: «**لا يُقطع الخائن ولا المنتهب ولا المختلس**»[١].

فحد السرقة ليس لمجرد أخذ المال وإنما لما يترتب على السرقة من جناية قد تُعرض للقتل وارتكاب أكبر الجرائم.

فلو انتهب إنسان شيء مما في يده كالحارس والخازن فلا قطع عليه.

ولو سرق إنسان ثمر من شجر فلا قطع عليه: «**لا قطع في ثمرٍ ولا كثر**»[٢].

وفي موطأ الإمام مالك بسندٍ مرسلٍ صحيح: «**لا قطع في ثمر معلق، ولا في حريسة جبل**»[٣].

وحريسة الجبل الماشية التي تحرس في الجبل راعيةً فالجبل ليس بحرزٍ لها يمنعها.

والله أعلم

وفي السنن الكبرى للبيهقي قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ليس على من سرق من بيت المال قطع»[٤].

---

(١) سنن ابن ماجة٢-٨٦٤، حكم الألباني: صحيح

(٢) سنن الترمذي ٤-٥٢، بسند صحيح

(٣) صححه الألباني في إرواء الغليل ٨-٧١.

(٤) قال الألباني في إرواء الغليل٨-٧٧ رجاله رجال الصحيح.

فليست القضية لمجرد السرقة وإلا لقُطعت يد الذي ينتهب والذي يختلس والذي يخون.

لكن لما كان غالب حال هؤلاء الثلاثة أنهم يقومون بجريمتهم دون تعريض أرواح الآمنين للخطر، لم تقترن بحد.

ولمّا كانت سرقة الثمر وحريسة الجبل مع ارتفاع ثمنها بعيدة عن تعريض الآمنين لخطر السارق لم يقم الحد.

وعن ابن أبي ليلى في رجلٍ سرق من الكعبة قال: «ليس عليه قطع»[(١)].

ولو سرق إنسانٌ وأتى مُقرًا بجريمته فهل تُقطع يده؟

الجواب: القاضي يطرده!

نعم يطرده.

فقد أُتي النبيَّ ﷺ بلصٍّ قد اعترف اعترافًا ولم يوجدْ معه متاعٌ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**ما إِخالُكَ سرقتَ**» قال بلى فأعاد عليه مرَّتَينِ أو ثلاثًا»[(٢)].

وأخرج البيهقي بسندٍ صحيحٍ أن: «رجلاً أتى عليًا رضي الله عنه وقال له إني سرقت، فطرده»![(٣)].

وقال أبو الدرداء لامرأةٍ قد سرقت: «سلامةُ أسرقتِ؟ قولي: لا»[(٤)].

وعن عطاء يقول: «كان من مضى يؤتى بالسارق فيقول: أسرقتَ؟ قل: لا. ولا أعلم إلا سمّى أبا بكرٍ وعمر»[(٥)].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة٢٩٠١٠.

(٢) سنن أبي داوود ٤-١٣٤ والحديث فيه مقال لكن له شواهد.

(٣) صححه الألباني في الإرواء ٨-٨٧

(٤) إرواء الغليل بسندٍ جيد ٨-٧٩

(٥) قال الألباني في الإرواء إسناده صحيح إلى عطاء ٨-٧٩.

وقد صنّف ابن أبي شيبة في مصنفه باب: في الرجل يؤتى به فيقال له أسرقتَ؟ قل: لا.

عن أبي مسعودٍ قال: أُتي برجلٍ سرق. فقال: أسرقت؟ قل وجدته، قال: وجدته، فخلى سبيله[١].

وعن أبي متوكل أن أبا هريرة أُتي بسارق وهو يومئذٍ أمير فقال: أسرقت؟ أسرقت؟ قل: لا قل: لا مرتين أو ثلاثًا[٢].

وعن غالبٍ أبي الهُذيل: قال سمعت سبيعًا أبا سالمٍ يقول: شهدت الحسن بن عليٍ وأُتي برجلٍ أقر بسرقةٍ فقال له الحسن: «لعلك اختلست لكي يقول: لا»[٣].

وعن عكرمة بن خالدٍ، قال: أُتي عمر بسارق قد اعترف، فقال عمر: «إني لأرى يد الرجل ما هي بيد سارق"، فقال الرجل: والله ما أنا بسارق، فأرسله عمر ولم يقطعه[٤].

٣٣- وماذا عن حد الزنا ورجم إنسان وإزهاق روحه؟

الذي لا يقبل بإزهاق نفسٍ واحدة ارتكبت جريمة الزنا وهي محصنة، هو في المقابل يضطر للسماح بإزهاق مليون نفس سنوياً.

فسنويًا يتم إجهاض مليون طفل غير مرغوب فيهم في أمريكا وحدها![٥].

وهذا من بلايا الزنا وتبعاته!

لكن هذه الأجنة لا تملك منظمات حقوقية ولا أبواق إعلامية فتم التراضي على إزهاقها في صمتٍ تام.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة حديث رقم ٢٨٥٧٥.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة حديث رقم ٢٨٥٧٦.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة حديث رقم ٢٨٥٧٨

(٤) مصنف ابن أبي شيبة حديث رقم ٢٨٥٧٩

(٥) http://www.cdc.gov/mmwr/preview/mmwrhtml/ss١١٥٥a١.htm.

۞٣٤- لكن لنفترض أن شخصًا متزوجًا زنا ثم تاب إلى الله فهل تُزهق روحه ويُرجم؟

✍ الأصل هو حماية المجتمع وليس إزهاق الأنفس.

قال النبي ﷺ : «**اجتبوا هذه القاذورات التي نهى الله تعالى عنها، فمن ألم بشيءٍ منها فليتب إلى الله وليستتر بستر الله تعالى**».

والنبي ﷺ حين طرد ماعزًا الذي جاء معترفًا بالزنا ثلاث مرات، كل مرة يطرده ويرده إلى رحله.

وقال للغامدية التي جائت معترفةً بالزنا والحديث في صحيح مسلم: «**ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه**».

فالذي يتوب إلى الله فلا مشكلة للمجتمع معه، فقد كُفي المجتمع شره.

ومثل هذا لو جاء للقاضي طلبًا لإقامة الحد فالقاضي يعرض عنه ويطرده.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «اطردوا المعترفين»[١].

وفي سنن أبي داوود أنه ﷺ بعد أن رد المرأة الغامدية عادت فقال لها ارجعي . فرجعت، فلما كان الغد أتته، فقالت: لعلك أن تردني كما رددت ماعز بن مالك ! فوالله إني لحبلى . فقال لها: «**ارجعي**» فرجعت، فلما كان الغد أتته، فقال لها: «**ارجعي حتى تلدي. فرجعت**»، فلما ولدت أتته بالصبي فقالت: هذا قد ولدته، فقال لها: «**ارجعي فأرضعيه حتى تفطميه**»[٢].

ولاحظ قوله ﷺ بعد قولها أنها حبلى: فقالت: لعلك أن تردني كما رددت ماعز بن مالك».

ولو لم ترجع الغامدية إلى رسول الله ﷺ ما طلبها.

(١) السلسلة الصحيحة للألباني ٥- ٣١٧.

(٢) سنن أبي داوود ٤٤٤٢، حديث صالح.

عن عبد الله بن بُريدة عن أبيه: كنّا أصحاب رسول الله ﷺ نتحدث أن: الغامدية وماعز بن مالك لو رجعا بعد اعترافِهما أو قال: لو لم يرجعا بعد اعترافهما لم يطلبهما[١].

فالإسلام لا يتشوق ويسعى إلى تنفيذ الحدود بل يبحث لها عن كل مخرج.

فالهدف إصلاح المجتمع لا بتره.

٣٥- لماذا ترفضون التعايش مع الملحدين؟

هذا السؤال أجابت عنه الدول التي عاشرت الملحدين، واليوم لهذه الدول خبرة كبيرة في هذا الأمر ولننظر إلى ماذا انتهوا في هذه القضية!

نشرت المجلة العلمية العملاقة "الأمريكي العلمي Scientific American" بحثًا عن مدى كراهية المواطن الأمريكي للملحدين، وكان عنوان البحث يشي بالأمر فعنونت المجلة بحثها بالتالي: «نحن لا نثق في الملحدين In Atheists We Distrust».

وبيّنت المجلة أن أغلب الشعب الأمريكي لا يطيق الملحدين ولا يقبل أن يكونوا حتى معلمين لأبنائهم! [٢].

وتحرّت المجلة كيف أن استهجان المواطن الأمريكي للملحدين هو الموقف السائد سواءً أُعلن في قراراتٍ رسمية –كما سيأتي بيانه– أو أُضمر في قلب الشعب الأمريكي!

---

(١) ضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث ٦-٧٩٣، ويشهد له الحديث في مسند أحمد ٣٨-٢٧.

(٢)http://www.scientificamerican.com/article/in-atheists-we-distrust/

(موقع الأمريكي العلمي هو موقع علمي قوي وشهير عالميًا)

وفي تقريرٍ منفصل قامت به جريدة الواشنطون بوست Washington Postفي العام ٢٠١١ في رصد لأكثر طائفة مكروهة في أمريكا على الإطلاق، تبيّن أن الملحد صاحب المرتبة الأعلى في الكراهية من بين جموع الشعب الأمريكي حصريًا[١].

وقبل هذا التقرير بفترة قصيرة كانت جامعة مانيسوتا الأمريكية University of Minnesota قد أجرت بحثًا مستقلاً على مدار سنتين عن المسلمين المتطرفين والشواذ جنسيًا والملحدين، ومَن الذي يخشاه المواطن الأمريكي على نفسه؟

وتبين أن المسلم المتطرف والشاذ جنسيًا أقرب للأمريكي من الملحد[٢].

قد تكون هذه التقارير البحثية مدهشة للكثيرين، والأكثر داهشية أن يكون لهذه التقارير سندًا على أرض الواقع في صورة قوانين تؤكد رسميًا احتقار الملحد في الدول الغربية وازدراؤه.

فأحد أسس دساتير الولايات الأمريكية ألا يتولى الملحد أي منصبٍ على الإطلاق، لأن الذي ينكر وجود الله لا قيمة لعهده ولا ضمان لأمانته كما يقول جون لوك John Locke مؤسس الدولة المدنية في رسالته في التسامح حيث قال: «لا يمكن التسامح على الإطلاق مع الذين ينكرون وجود الله، فالوعد والعهد والقسم من حيث هي روابط المجتمع البشري ليس لها قيمة بالنسبة الى الملحد، فإنكار الله حتى لو كان بالفكر فقط يفكك جميع الأشياء». [٣].

-(١)http://www.washingtonpost.com/opinions/why-do-americans-still-dislike-atheists/١٨/٠٢/٢٠١١/AFqgnwGF_story_١.html

(الواشنطون بوست واحدة من أشهر الصحف العالمية)

(٢)http://newsjunkiepost.com/٢٠٠٩/٠٩/١٩-research-finds-that-atheists-are-most-hated-and-distrusted-minority/

(٣) - جون لوك، رسالة في التسامح ص٥٧

وإذا كانت هذه نظرة مؤسس الدولة المدنية في الغرب، فكيف بجموع الشعب؟

إن نظرة أولية إلى دساتير الولايات الأمريكية تعطي صدمة لكل ملحد عربي يتبجح بطلب حقوقه في بلادنا العربية، إن رصد مواد الدساتير الغربية تعكس مدى إدراك هؤلاء لخطر الملحدين ومحاولة استبعادهم قدر الإمكان عن الحياة العامة.

ففي دستور ولاية أركنساس Arkansas State Constitution الفصل التاسع عشر المادة الأولى: «لا يحق لأي ملحد تولي أي منصب إداري في الولاية، ولا يكون أهلاً للشهادة في المحكمة».

ثم قلِّب في دستور ولاية نورث كارولينا North Carolina's State Constitution لتتبين كيف أنه ينص في الفصل السادس المادة الثامنة أن الملحد فاقد للأهلية!

ثم ارجع الطرف إلى دستور ولاية بنسلفانيا Pennsylvania's State Constitution في الفصل الأول مادة أربعة لترى كيف أن الملحد ليس أهلاً للثقة وعليه فلا يحق له إنشاء أية مؤسسة ربحية.

إن الدساتير الغربية طافحة بالمواد الدستورية الرصينة التي ترفض تواجد ملحد بينهم؛ انظر إلى دستور ولاية ساوث كارولينا South Carolina الفصل السادس المادة الثانية، ودستور ولاية تينيسي Tennessee الفصل التاسع الفقرة الثانية، ودستور ولاية تكساس Texas الفصل الأول الفقرة الرابعة وكلها تشترط أن الإيمان بالله شرط بديهي للثقة وتولي منصبٍ إداري.

فأمريكا أقوى دولة علمية في العالم ما زالت تصنف الملاحدة على أنهم غير مقبولين في المجتمع الأمريكي، وكان هذا واضحًا جدًا بصفة رسمية في الكلمة التي قالها جورج بوش الأب حين سأله صحفي أمريكي في عام ١٩٨٧ " هل يمكن اعتبار الملحد الأمريكي متساوياً في الجنسية والمواطنة مع غيره من الأمريكان؟

وأصبح رد بوش مشهوراً في ذلك الوقت حين قال: «لا أعرف إذا كان من الممكن اعتبار أن الملحدين مواطنون أو حتى اعتبارهم محبين للوطن؛ هذه أمة موحدة تحت راية الله».

إذن الغرب أكثر خبرةً منّا بالملحدين وبطبيعتهم، ويعلم أن في وجودهم مشكلة حقيقية فلا قيمة عند الملحدين للعهد ولا للقسم وهي أسس أي مجتمع وأي قضاء وأي دستور.

فالغرب يرفض الملحدين بسبب ما يثيرونه من مشاكل، فمعقِد الولاء والبراء عند الغرب هو المصلحة والنفعية أما عندنا فمعقد الولاء والبراء هو الدين، فرفضنا للملحد نابع من ديننا الذي يحضنا على إعلاء كلمة الله وعلى إصلاح الشباب وعدم تركهم تتخبطهم أمواج الشبهات.

٣٦- ما هي حجج الملحدين في وجه الأدلة الدينية؟

الإلحاد لم يقدم أي شيء أمام آطنان الأدلة التي يقدمها المؤمن.

الإلحاد لا يملك أي شيء ولا يقدم أية حجة ولا يستشفع بأي أصل.

غاية الملحد هي سفسطة أدلة المؤمن لا أكثر.

ومع هذا الإفلاس التام بعض الناس يعتقد بالإلحاد ويدّعيه ويقول "أنا ملحد"، وهذا من عجائب زماننا وغرائبه التي لا تنقضي!

٣٧- ما هي الأسئلة التي لن يجيبني عنها ملحد؟

أ- كيف ظهر الوجود من اللازمان واللامكان؟

كيف يزعم الملحد أن إلحاده صحيح ولحظة بداية الوجود دليل خلق وإبداع وإيجاد؟

ب- كيف انتقلت اللاحياة إلى حياة؟

كيف انتقلت المادة الميتة إلى خلايا حية؟

في حين أننا اليوم وفي قمة تقانتنا وجامعاتنا العملاقة لا نستطيع أن ننشيء أبسط صور الحياة، فكيف ننسب ظهور الحياة إلى المادة الميتة العمياء؟

ألم يكن الأولى بنا اليوم أن نُنتج حياة تفوق الحياة التي أظهرتها المادة الميتة العمياء بملايين المرات؟

ج- كيف يستطيع الملحد من خلال إلحاده أن يدافع عن إبادة أهل الأرض جميعًا؟

ما هو المستند العقلي أو المادي أو العلمي الذي يقدمه بحيث يؤكد أن إبادة أهل الأرض جميعًا خطأ؟

فالعالم المادي لا يعرف الخطأ ولا الصواب؟

إذن تستوي إبادة أهل الأرض جميعًا بإحيائهم إلحاديًا.

د- يفترض الإلحاد أن البشر مجرد حيوانات جاءت في سلسلة تطور من كائنات أدنى!

ماذا لو ظهر كائن أرقى؟

هل يحق له إدخال البشر أقفاص الحيوانات وأن يستخدمهم في تجاربه الدوائية؟

الإجابة الصريحة من واقع المادة والداروينية هي: نعم

وهذا يقضي على أي أمل في حماية الإنسان أو توفير معنى أو غاية لوجوده داخل الإلحاد.

فالإلحاد هنا يعجز عن تفسير حقيقة الإنسان!

هـ- ماذا لو أثبت التطور أن عِرقًا بشريًا أرقى من عرقٍ آخر، هل يحق للأرقى تحويل الأدنى إلى مادة مستعملة، كما نتعامل مع الحشرات والحيوانات الأدنى تطوريًا؟

إجابة الداروينية المادية هي: نعم

وهذا يضمن انهيار الإلحاد داخل العقول السوية والأنفس المفطورة على أن التمايز بين البشر هو بالتقوى لا بلون الجلد ولا بكفاءة العضلات.

و- يفترض الملحد أن الأخلاق نسبية — أي تحتمل أكثر من وجه؛ فمثلاً الأمانة قد تكون أفضل من الخيانة وقد تكون الخيانة أفضل من الأمانة- ثم حين يأتي بشبهاته فإنه يقرر مسبقًا أنها مطلقة-لا تحتمل إلا وجهًا واحدًا الأمانة أفضل من الخيانة-، لأنه لو كانت

الأخلاق نسبية فليس للشبهة معنىً، لأنه ساعتها لن يستطيع أن يقرر أن هناك مخالفة لمعيار أخلاقي.

وهذا تناقض ظاهر فهل الأخلاق نسبية أم مطلقة؟

فلو كانت مطلقة لانتهى إلحاده لأن هذا يعني أن الأخلاق تحمل غائية وجودية كبرى —إرادة الله والتكليف الإلهي-.

ولو كانت نسبية فهذا يعني أنه لا يصح للملحد أن يأتي بشبهة ولا أن يستوعب وجود شبهة أصلاً!

ز- كيف ظهرت الثوابت الفيزيائية المدهشة التي بدأ بها الكون؟

الثوابت الفيزيائية هي فرق في قياسات الطاقة في المادة التي ظهر منها الكون، وهذا الفرق دقيق للغاية ولو اختل ما ظهر الكون.

مثال على ذلك: الثابت الكوني Cosmological constant الذي لو اختلفت قيمته بأقل من جزء من صفر يليه ١٢٣ صفر ثم ١ من الواحد لانهار الكون بأكمله.

هذا ثابت فيزيائي يؤكد وجود ضبط ودقة وعظيم صنع؛ والثوابت الفيزيائية كثيرة وكلها دقيقة ومدهشة.

ح- كيف ظهر نظام التشفير داخل خلايا الكائنات الحية —الجينوم-؟

فمن المعلوم أن التشفير لابد له من مشفر، ووضع معلومة داخل الجينوم تهدف لرمز معين يؤدي وظيفة محددة —تكوين العين مثلاً- هذا أمر لا يقوم به إلا صانع قادر حكيم، فالمعلومة هي معلومة.

ط- كيف تبرر وجود الأخلاق والمعنى والقيمة من خلال الإلحاد؟

فالإلحاد يعتبر العالم مجرد ذرات متلاطمة بلا معنى ولا غاية.

وهذا أكبر دافع لتسميم الأخلاق وتدمير معنى الآخلاق.

فإذا كانت الأخلاق موجودة فالإلحاد غير صحيح.

ي- ملخص الاستدلال ضد الإلحاد:

بما أن هناك ضوء إذن بالإدراك العقلي المباشر هناك مصدر للضوء.

بما أن هناك ظل إذن هناك جسم.

بما أن هناك موجودات متقنة من الكوارك إلى المجرة إذن هناك موجِد.

هذا هو الاستدلال القرآني وهو أيسر الاستدلالات وأقلها في الخطوات.

ولذلك قال الله عز وجل: «ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يُصرفون. الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا». سورة غافر.

أنى تُصرفون؟

وإلى أي دليل مقابل تلجئون؟

فليس أمام الملحد إلا العماء والعدم والعبث والإيمان بالمحالات.

٣٨- لماذا تخلف المسلمون رغم دينهم الحنيف والغرب الكافر مُتقدمٌ جدًا؟

هذا هو سؤال الحضارة!

وكم عانى الأنبياء في مواجهة هذا السؤال.

وكم تفلّت الأتباع وكم بخعت أنفس الرسل حزنًا على كثرة تفلّت أممهم.

فسؤال الحضارة هو أصل كفر الأمم عبر العصور.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ ﴾ [مريم:٧٣].

فإذا تُليت الآيات التي فيها الحجج والبراهين على الكافرين، نكص هؤلاء الكافرون بحجة أن هناك أممًا أرقى ماديًا من المؤمنين وأحسن نديًا.

يقول الباحث إبراهيم السكران –حفظه الله-: «وهذا قانون تاريخي وسنة كونية متكررة لاينتهي العجب من تأمل أرشيفها الطاعن في العمر، فجمهور المبلغين عن الله منذ فجر النبوات وحتى لحظة العمل الإسلامي المعاصر يواجهون دوماً "قوى مادية" تفوقهم وتفتن الناس عن اتباع الوحي الذي معهم.

وانظر في تجارب الأنبياء وما انطوت عليه من الخبرات الدعوية، ستجدها تكاد أن تكون جميعًا تمثالاً ناطقاً للصراع بين داعي "الوحي الإلهي" وفتنة "القوة المادية"، وستجد افتتان الناس بالقوة المادية يخلب ألبابهم ويعشي أبصارهم ويصرفهم عن الانصياع والاستسلام للوحي، وستجد العاملين للدين يعانون الأمرَّين من افتتان الناس بالمظاهر المادية.

فالرسول الأول نوح عليه السلام قال له قومه بكل صراحة مادية: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ [هود:٢٧].

ويتحدث القرآن عن قوة الكافرين المادية ويصف قصورهم ومنشآتهم الضخمة وبطشهم العسكري في سورة الشعراء فيقول سبحانه: ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [الشعراء: ١٢٧-١٣٠].

وما أن يظهر نبي الله موسى في أثناء "الحضارة الفرعونية" بكامل وزنها التاريخي وإمكانياتها الإمبراطورية، ليتكرر من جديد مسلسل طغيان القوة المدنية وغرورها أمام الوحي.

ولاينقضي العجب من عمق فهم نبي الله موسى وملاحظته كيف فتنت الحضارة الفرعونية وقوتها المدنية الناس، وكيف صرفتهم عن الاستسلام للوحي، فيُعبر كليم الله موسى عن هذا القانون التاريخي لأعظم تحدٍّ يواجه الدعوات كما في قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ﴾ [يونس:٨٨].

ولم يكن الحال جديداً بالنسبة لنبينا محمدٍ ﷺ فقد كان الجاحدون لنبوته والوحي الذي معه يتعلقون في الإعراض عنه بضعفه المادي، وأنه لا يتمتع بمظاهر القوة والرفاة كما يتمتع بها بعض اللامعين في منطقة الحجاز، ورأوا أنه لا يليق الخضوع لنبي إلا إن كان من أشراف الطبقة الارستقراطية في عاصمتي الحجاز وهما مكة والطائف كما قال تعالى عنهم في سورة الزخرف: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف:٣١]»[(١)].

انتهى كلامه.

فما ابتلي البشر عبر العصور وعبر تاريخ النبوات ببلاءٍ أكثر من الافتتان بالقوة المادية للمنافس.

---

(١) مآلات الخطاب المدني، إبراهيم السكران، بتصرف.

ولم يدرك هؤلاء أنه لا علاقة بين تقدم الغرب وبين صحة المبدأ الديني.

فالتقدم العلمي مثلاً قرين بمن يدفع أكثر، مَن يُموِّل!

فلا تطلب أكثر لمجرد كونك مُسلم!

ولا تطلب إهلاك القرى لمجرد أنها كافرة ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [هود:١١٧].

هذه هي القضية.

فالذي يتوقع أن ننتصر بما نحن فيه من بلادةٍ فقط لأننا مسلمون، وأن يُهزم الغرب بما هم فيه من مثابرة وجدٍ فقط لأنهم كافرون هو أبعد الناس عن فهم سنن الله في كونه، وآياته في كتابه، فقد دلت نصوص الكتاب العزيز أن إهلاك الظالمين إنّما يكون بالعدل والقسط لا بالظّلم والجور ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ ﴾ [المؤمنون:٤١]، أي بالعدل لا بالظّلم.

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٠٨-٢٠٩].

فنزّه الله تعالى ذاته المقدّسة عن الظّلم؛ لكمال عدله في أخذه وعقابه؛ فلا يصيب بعذابه إلاّ من عتا وتمرّد وظلم.

ومن أجل ذلك فقد ذهب القرطبي في تفسيره إلى أنّ الشِّرك لا يكون وحده سببًا لإهلاك الأمم حتَّى يقترن به إفسادٌ في الأرض، أو تظالمٌ بين العباد؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [هود:١١٧].

هذه سنة الله في كونه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً!

فالتقدم المادي والتأخر لا علاقة لهما بمَن معه الحق أو الباطل.

٣٩- كيف علمت أن محمدًا ﷺ رسول من عند الله؟

دلائل الإعجاز تفيد التواتر المعنوي.

فأرسطو فيلسوف بمجموع أعماله وليس بجملةٍ قالها أو تحليلٍ فلسفيٍ أجراه.

وأبوقراط طبيب بمجموع مشاريعه الطبية وليس بجراحةٍ قام بها.

وكذلك دلائل الاعجاز المنقولة تفيد التواتر المعنوي بأنه نبي ﷺ.

أخبر ﷺ في ليلةٍ من الليالي بأن ريح شديدة ستهب ونهى الناس عن القيام فقام رجل فحملته الريح وألقته في مكان بعيد عن مكانه[١].

وأخبر ﷺ بموت النجاشي في اليوم الذي مات فيه وصلى عليه أربعًا[٢].

وأخبر النبي ﷺ بشهادة عمرَ وعثمانَ وعلي وطلحة والزبير -رضي الله عنهم أجمعين-، وأنهم لن يموتوا على فُرُشِهم أو سواه مما يموت به الناس.

فقد صعد رسول الله ﷺ على حراء ذات يوم هو وأبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليُ وطلحةُ والزبيرُ، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ: «**اهدأ، فما عليك إلا نبيٌ أو صديقٌ أو شهيد**»[٣].

وهناك ١٥٠ حديث دعا فيهم النبي ﷺ ربه وأُجيب في الحال والناس يشهدون![٤].

فالاطراد في الصدق مع الكثرة في تنوع الدلائل والإخبار بالمغيبات مع توافق العقيدة مع عقيدة الأنبياء مع ضبط أخطاء المحرفين في الديانات السابقة كل هذا يفيد التواتر المعنوي بصحة الرسالة.

وإذا نظرت في سيرته ووجدته صادقًا وقد اشتهر بالصدق باعتراف أشد الناس له عداوةً، ولم يُرم بكذبٍ ولا فجورٍ، ثم وجدته يتحدى أهل الدنيا بكتابه فما يجدون إلا السيف ليسكتوه به، فلابد أنه نبي إذن.

---

(١) صحيح مسلم حديث رقم ٣٣١٩.

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم ١٣٣٣

(٣) صحيح مسلم، حديث رقم ٢٤١٧.

(٤) جمع هذه الأحاديث سعبد ين عبد القادر باشنفر، في كتابه دلائل النبوة، والكتاب من إصدارات دار ابن حزم.

ومعجزاته ﷺ المادية والغيبية تزيد على الألف بكثير والعهد بها قريب وناقلوها أصدق الخلق وأبرهم.

وهؤلاء الرواة الذين نقلوا إلينا هذه المعجزات كانوا لا يجيزون الكذب فيما دقَّ فكيف يكذبون عليه ويعلمون أن من كذب عليه متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار، كما حذّر هو ﷺ .

فمعجزاته ﷺ ثابتة بالتواتر اللفظي والمعنوي.

وبعض معجزاته ﷺ شهدها آلاف الصحابة وبعضها رواه العشرات منهم فكيف يجمعون على الكذب؟

ورواة الخبر قد أخبروا في جمعٍ كثير قد شاهدوه ولم يُكذبه منهم أحد ودواعي الصدق عامة متعاضدة ودواعي الكذب خاصة متنافرة. فصارت آحادها حجة، ومتواتر مجموعها برهانًا[(١)].

ومثال ذلك: حديث جنين الجذع وهو حديث مشهور متواتر حيث كان النبي ﷺ يخطب على جذع، فلما عُمل له المنبر ورقي عليه وخطب حنّ الجذع، وأنّ أنين الصبي، ولم يزل يئن ويحن حتى ضمه النبي ﷺ فسكت.

هذا الحديث رواه من الصحابة أنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وأُبي بن كعب، وأبي سعيد، وسهل بن سعد، وعائشة بنت أبي بكر، وأم سلمة.

فهل مثل هذا العدد من الصحابة يُجمِع على الكذب في رواية خبرٍ كهذا؟

٤٠- ما هي الأدلة الملموسة على صحة رسالتهﷺ؟

أدلة أتحقق منها علميًا!

أ- قال رسول الله ﷺ : «ما من عامٍ بأقل مطرا من عام»[(٢)].

---

(١) ظاهرة نقد الدين في الفلسفة الحديثة، د. سلطان العميري، رسالة دكتوراه.

(٢) السلسلة الصحيحة، الألباني، رقم الحديث٢٤٦١

أي أن نسبة المطر ثابتة في كل عام، وهذه حقيقة علمية أدهشت العلماء وكأن هناك تقدير إلهي وقيومية إلهية لتثبت نسبة المطر سنوياً والمدهش لنا نحن المسلمين أن النبي ﷺ أخبر بهذه الحقيقة قبل ١٤٠٠ عامًا.

ب- وفي الحديث الآخر: «**أَنَّ أهلَ مكَّةَ سألُوا رسولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُم آيَةً، فأراهُمُ القمَرَ شِقَّينِ، حتى رأَوْا حِراءً بَينهُما**».

فقد انشقَّ القمرُ على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ فصار فرقتيْنِ فقال النبيُّ ﷺ لأبي بكرٍ فاشهد يا أبا بكرٍ وقال المشركون سحرَ القمرَ حتى انشقَّ.

والحديث متواتر، وقد كان النبي ﷺ يقرأ سورة القمر في المجامع الكبار كالجُمع والأعياد ليُسمع الناس ما فيها من معجزاته ﷺ وكان يستدل بها على صدق نبوته.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه -عليه الصلاة والسلام-، وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر فيها»[١].

والمدهش أن هذه الحقيقة رُصدت في الهند زمن وقوع المعجزة وسجلها الهنود في كتبهم كما تذكر[٢].

وفي المخطوطة أن أهل الهند رصدوا انشقاق القمر ومن بينهم الملك شاكرواتي فارماس Chakarwati Farmas وكانت المعجزة سببًا في مرحلة لاحقة في إسلام أهل ماليبار حين مر به الرحالة المسلمون وأخبروهم بالحدث[٣].

ج- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سُئل: هذه المغارب، أين تغرب؟ وهذه المطالع أين تطلع؟

---

(١) البداية والنهاية ٣/ ١١٨.

(٢) مخطوطة المركز الهندي بالمتحف البريطاني ١٥٢/ ٢٨٠٧-١٧٣.

(٣)http://www.cyberistan.org/islamic/farmas.html

فقال رسول الله ﷺ: «هي على رسلها لا تبرح ولا تزول، تغرب عن قوم وتطلع على قوم،، وتغرب عن قوم وتطلع، فقومٌ يقولون غربت وقومٌ يقولون طلعت»[(١)].

فهذه أخبار لا يعلمها إلا نبي.

فكيف يعلم إنسان في تلك الفترة أن للشمس مشارق ومغارب متعددة في نفس الوقت؟

د- إخباره ﷺ بأن آدم آخر الخلق من الكائنات الحية.

وهذه الحقيقة العلمية التي يرددها المجتمع العلمي وصارت الآن إحدى مقدماته الشهيرة.

هذه الحقيقة مما أخبر به الإسلام، فقد خلق الله آدم في آخر ساعات الخلق كما ورد في قول رسول الله ﷺ: «**خلق الله آدم يوم الجمعة**».

«وخَلَقَ آدمَ بعدَ العصْرِ من يوم الجمعةِ ؛ في آخِرِ الخلقِ، في آخرِ ساعةٍ من ساعاتِ الجمعةِ، فِيما بين العصرِ إلى الليلِ»[(٢)].

فآدم آخر المخلوقات كما قال المفسرون بناءً على نص الحديث.

قال ابن جرير الطبري في قوله تعالى: ﴿**هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا** ①﴾ [الإنسان:١].

عن معمر عن قتادة قال: «كان آدم عليه السلام آخر ما خُلق من الخلق».

وهذا ما يقطع به العلم اليوم بأن آدم لم يظهر إلا في آخر الخلق.

أليس هذا دليلاً مباشرًا على أن خالق الإنسان هو الموحي للنبي محمد ﷺ بالإسلام؟

---

(١) مسند أبي إسحاق الهمداني.

(٢) صحيح الجامع، حديث رقم٢٠٤٤٩.

هـ- قال النبي ﷺ عن خلق الجنين: «مِن كلٍ يُخلق، من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة»[١].

وانظر قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:٢].

والنطفة الأمشاج بإجماع المفسرين هي خليط: ماء الرجل وماء المرأة.

في الوقت الذي كان فيه أساطين الطب بالميراث الأرسطي وبمراجع الطبيب الشهير جالين يقطعون بأن ماء الرجل يدخل رحم المرأة فينمو الجنين ويتغذى على دم الحيض المحتبس في رحمها.

حيث كانوا يظنون أن المرأة يتوقف حيضها بمجرد الحمل لينمو الجنين على دم الحيض، ولم يكونوا يتخيلون أن للمرأة نطفة كنطفة الرجل تشارك في عملية التخصيب والإنجاب.

ولم يُعرف دور نطفة الماء في تكوين الجنين إلا عام ١٧٧٥ على يد Spallanzani and Wolff.

فهذه الحقائق تقطع بأنه وحيٌ يوحى.

و- قال النبي ﷺ : «ما من كل الماء يكون الولد»[٢].

فالولد لا يتولد بكل نطفة الرجل وإنما بحيوانٍ منويٍ واحد.

ز- حرّم الإسلام الكهانة والشعوذة والتعلق بالنجوم والخطوط المضروبة في الأرض والتشاؤم فكلها خرافات علمية.

قال رسول الله ﷺ : «**إنَّ الرُّقى، و التَّمائمَ، و التِّوَلَةَ شركٌ**»[٣].

---

(١) مسند أحمد ٤٤٢٤.

(٢) صحيح مسلم٣٤٣٨.

(٣) صحيح الجامع حديث رقم١٦٣٢

فكلها شركيات وسخافات لا قيمة لها.

وهذا منتهى ما سلّم به العلم.

ح- قال ﷺ: «كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خُلق وفيه يُركب»[١].

وعجب الذنب primitive streak يُشكل الجنين ثم يتضائل إلى أن يستقر في منطقة العصعص.

فعجب الذنب أوالشريط الأولى primitive streak ينشط في أول أسابيع الحمل نشاطًا عجيباً لتشكيل الجنين وتكوين الخلايا المتخصصة وهو يسمى الشريط الأولى ويسمى أيضًا المنظم الأول primary organizer حيث يُشكل أجهزة الجنين وأعضاؤه.

وفي الأخير يتضائل حتى يستقر في أسفل المنطقة العصعصية[٢].

وقد تم نزع عجب الذنب من بعض الكائنات الحية –البرمائيات- ووضعه في جنينٍ آخر فوُجِد أنه يُشكل جنين ثانوي.

ط- قال ﷺ: «يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد مُليء جنانًا»[٣].

والحديث كان في منطقة تبوك، واليوم منطقة تبوك جنان فيها من كل الثمرات.

ي- قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ [الإسراء:١٢].

قوله تعالى: فمحونا آية الليل.

أي أن القمر كان مضيئًا ثم مُحي ضوؤه.

---

(١) صحيح مسلم٢٩٥٥.

(٢) http://nicheoftruth.org/pages/the_coccyx_bone.asp

(٣) صحيح مسلم ٧٠٦

وهذا بالفعل ما فسّر به الصحابة الآية الكريمة فقد روى الإمام ابن كثير في تفسيره أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال في تأويله للآية: «كان القمر يضيء كما تضيء الشمس، وهو آية الليل، فمحي».

وهذا ما انتهي إليه العلم وقد نشرت ناسا على قناتها الرسمية في اليوتيوب الحقبة الأولى من عمر القمر وكان فيها مضيئًا متوهجًا[١].

ك- أخبر الله سبحانه أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وخلق الأرض في يومين ﴿ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [فصلت:٩].

إذن قرآنيًا عمر الأرض ٢ على ٦ من عمر الكون

أي ثلث عمر الكون.

ولننظر الآن إلى العلم ماذا يقول؟

عمر الكون ١٣,٨ مليار سنة.

عمر الأرض٥, ٤ مليار سنة.

أي ثلث عمر الكون.

هذا دليل مباشر وسهل ويسير على أن الموحِي بالقرآن هو خالق السماوات والأرض!

فقد ثبت بالتواتر وقوع المعجزات التي لا حصر لها على يد رجلٍ واحد، والإخبار بالمغيبات ودقائق المسائل، وهذا الرجل جاء بما عليه النبيين من قبله.

فالقطع بأنه نبي هو رشاد العقل!

٤١- ما المانع من الإيمان بالله أشد الإيمان مع الكفر بالأنبياء –الربوبية-؟

لا أعظم جرمًا من الذي يرد على الله وحيه!

---

(١)http://www.nasa.gov/mission_pages/LRO/news/vid-tour.html

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٍ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

٤٢- طالما أن معجزاته ﷺ عظيمة لماذا عانده المشركون كل هذا العناد؟

كبار الكفار كانوا يعلمون صدق رسالته ﷺ لأنها رسالة التوحيد فكانت فطرتهم تُسلم بذلك.

أليسوا هم الذين قد قالوا في أول يوم لبعثته: ما عهدنا عليك كذبًا قط.

ما جَرَّبْنَا عليك إلا صدقًا(١).

ألم يقل هرقل في حديثه الطويل مع أبي سفيان والحديث في أول صحيح البخاري: « وسَألتُك هل كنتُم تتهِمونه بالكذبِ قبلَ أن يقولَ ما قال، فذكَرْتَ أن لا، فقد أعرِفُ أنه لم يكُن لِيَذَرَ الكذبَ على الناسِ ويكذِبَ على اللهِ.

ثم قال هرقل قولته الشهيرة: «لو كنت عنده لكنت غسلت عن قدميه».

وكان أبو سفيان يومئذٍ كافرًا.

وحين تلاحى سعد بن معاذ رضي الله عنه والكافر أمية بن خلف، وقد حاول أمية أن يمنع سعد بن معاذ من الطوف بالبيت، فقال سعد في أثناء الجدال: إن رسول الله ﷺ أخبر أنه قاتلك.

فتوقف أمية وأُسقط في يده وقال إياي؟

قال: نعم.

قال: والله ما يكذب محمد إذا حدث.

فرجع إلى امرأته، فقال: أما تعلمين ما قال لي أخي اليثربي، قالت: وما قال؟ قال: زعم أنه سمع محمدا يزعم أنه قاتلي، قالت: فوالله ما يكذب محمد، قال: فلما خرجوا إلى بدر،

---

(١) صحيح البخاري، حديث رقم ٤٧٧٠

وجاء الصريخ، قالت له امرأته: أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي، قال: فأراد أن لا يخرج، فقال له أبو جهل: إنك من أشراف الوادي فسر يوما أو يومين، فسار معهم، فقتله الله [(١)].

إنهم يقطعون بصدقه ﷺ .

وفي الحديث الذي رواه البيهقي في سننه: «عن المغيرة بن شعبة قال: إن أول يوم عرفت رسول الله أني أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة، إذ لقينا رسول الله فقال رسول الله لأبي جهل: «**يا أبا الحكم، هلمَّ إلى الله وإلى رسوله، أدعوك إلى الله**».

فقال أبو جهل: يا محمد، هل أنت منته عن سب آلهتنا؟ هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بلغت؟ فنحن نشهد أن قد بلغت؟ فوالله لو أني أعلم أن ما تقول حق لاتبعتك.

فانصرف رسول الله .

وأقبل علي فقال: والله إني لأعلم أن ما يقول حق، ولكن يمنعني شيء إن بني قصي قالوا: فينا الحجابة.

فقلنا: نعم.

ثم قالوا: فينا السقاية.

فقلنا: نعم.

ثم قالوا: فينا الندوة.

فقلنا: نعم.

ثم قالوا: فينا اللواء.

فقلنا: نعم.

ثم أطعموا وأطعمنا.

حتى إذا تحاكت الركب قالوا: منا نبي، والله لا أفعل».

---

(١) صحيح البخاري٣٦٣٢

وما أعجب قصة عمرو بن العاص رضي الله عنه التي رواها عن نفسه في جاهليته حين وفد على مسيلمة، وكان صديقا له في الجاهلية، وكان عمرو لم يسلم بعد، فقال له مسيلمة: ويحك يا عمرو، ماذا أنزل على صاحبكم - يعني: رسول الله ﷺ - في هذه المدة ؟ فقال: لقد سمعت أصحابه يقرءون سورة عظيمة قصيرة فقال: وما هي ؟ فقال: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر: ١-٣]، ففكر مسيلمة ساعة، ثم قال: وقد أنزل علي مثله . فقال: وما هو ؟ فقال: « يا وبر إنما أنت أذنان وصدر، وسائرك حقر نقر.

كيف ترى يا عمرو ؟ " فقال له عمرو: والله إنك لتعلم أني أعلم أنك لتكذب.

فكان الناس يقطعون بصدقه ونبوته ولكن يمنعهم شيء —حب الدنيا والحسد-!

فمعجزاته ﷺ الغيبية تزيد على الألف.

ومعجزاته المعرفية تملأ موسوعات.

ومعجزاته الإخبارية ما زلنا نرصدها.

ونقلة المعجزات هم صحابته أصدق الخلق وأبّرهم بعده.

وبعض معجزاته ﷺ شهدها آلاف الصحابة مثل نبع الماء من بين أصابعه الشريفة حتى توضا منه وشرب ألف وخمسمائة صحابي والحديث متواتر ورواه البخاري ومسلم.

وتكثير الطعام اليسير ليطعم منه الجيش العظيم جائت به الأخبار المتواترة عن الصحابة فمَن بعدهم. وقد ذكر البخاري وحده معجزات تكثير الطعام في خمسة مواضع من صحيحه[1] .

فإذا كانت دواعي الصدق عامة متعاضدة على نبوته ﷺ ، فأنى لعاقل أن يُكذب بكل هذا؟

---

(١) البخاري (١٢١٧) ، البخاري (٢٦١٨) ، البخاري (٣٥٧٨) ، البخاري (٤١٠١) ، البخاري (٦٤٥٢) وكلها أحداث ووقائع مختلفة متباينة وهذا في البخاري وحده!

الفصل الثاني

كيف تدعو بوذياً إلى الإسلام؟

١- ما هي البوذية؟

البوذية هي: ديانة وطقس تشتمل على مجموعة متنوعة من التقاليد والمعتقدات والممارسات الروحية المنسوبة إلى بوذا، وتهدف البوذية بذلك إلى اكتساب الحكمة والوعي والتخلص من المعاناة[١].

فالبوذية في الأصل فلسفة تهدف إلى نوع من الاستنارة –معرفة معنى الحياة والوجود– بمجموعة من الممارسات التقشفية الصوفية والتأملات والتسامح، وهي فلسفة ممتلئة بخليط من بقايا الديانات والتصورات البشرية والفلسفات العقلية.

٢- كيف تنظر البوذية للوجود؟

النظرة البوذية للوجود بأكمله هي نظرة تشاؤمية إلى أبعد مدى، فالوجود عندهم بلاء والحياة هي العذاب بعينه، ولذلك غاية البوذية هي التحرر من تكرار الولادات

حيث يتصورون أن الإنسان حين يموت فإنه يعاد ولادته في كائن آخر، فيما يُعرف عندهم بالسامسارا وهو شبيه بفكرة التناسخ لدى الهندوس، فعند البوذية الكائنات الحية تُعاد ولادتها في كائنات أخرى باستمرار والغاية من البوذية الوصول لمرحلة النيرفانا، والنيرفانا تكون بالتخلص من هذه الولادات المتكررة.

فهنا النظرة البوذية للوجود نظرة متشائمة.

فالغاية هي التخلص من الوجود.

ولذا فإن فلاسفة التشاؤم في العالم أمثال شوبنهاور ونيتشه كان مصدر تشاؤمهم قراءة الأعمال البوذية[٢].

---

(١) قصة البوذية، دونالد لوبيز، ص٢٣٩.

(٢) يراجع كتاب أصول البوذية، لروبرت جيثين، ص٦٢ والكتاب على هذا الرابط: http://www.ahandfulofleaves.org/documents/The٢٠٪Foundations٢٠٪of٢٠٪Buddhism_Gethin_١٩٩٨.pdf

وهذه النظرة التشاؤمية هي نظرة كاذبة قطعًا فالوجود فيه خيرٌ كثير وفيه نِعمٌ لا تُحصى، وما العذاب والألم إن وُجد إلا نذر يسير ولحكمةٍ وخيرٍ أكبر، وكلاً من الخير والشر يدوران في إطار التكليف الإلهي، والحكمة الإلهية.

٣- كيف تنظر البوذية للحياة والموت؟

تقوم البوذية على فكرة أزلية التوالد وأزلية الحياة والموت -حلقة لا نهائية من الولادات-، فكل مولود كان في كائن قبله فيما يُعرف بالسامسارا وهكذا إلى ما لانهاية[١].

ولم يكن البوذيون يعلمون أن العلم سيقطع يومًا ما بأن للحياة بداية، والأرض ذاتها لها بداية وليست أزلية!

فقد ثبت علميًا بصورة قطعية أن الوجود ليس أزليًا وأن للكون بداية وللأرض بداية وللحياة ذاتها بداية.

وهذه المعطيات العلمية تأتي في تعارضٍ مباشر مع أصل الديانة البوذية.

٤- ما مصدر فكرة تكرار الولادات عند البوذية؟

هلاوس وتخيلات عندهم وعند الهندوس نتيجة الجلوس لفترات طويلة، ففي البوذية هناك جلسة تسمى جلسة اللوتس وهذه الجلسة كان يجلسها بوذا مؤسس البوذية وقد يبقى جالسًا طيلة ١٨ ساعة بدون أكل أو شرب.

فهذه الجلسات بهذه الطريقة أثرت على تفكيرهم وبدأت تأتيهم الهلاوس والتخيلات.

٥- ما دليلك أن الجلسة الطويلة تؤدي للهلوسة؟

لحظة التأمل البوذي بعد ١٨ ساعة جلوس، هذا يؤدي إلى خلل في أيونات الدماغ نظرًا لطول الجلوس خاصةً مع عدم الأكل مما يصاحب ذلك من نقصان شديد في

(١)http://١stholistic.com/prayer/hindu/hol_hindu-samsara-and-karma.htm

(الموقع يتبع مجلة بوذية تُقدم بحوث معرفية في البوذية وطقوسها)

جلكوز الدم- فيؤدي ذلك إلى إفرازات غير منضبطة من هرمون الإندورفين -هرمون السعادة- الذي يولِّد شعورًا بلذةٍ خاصة، كالتي يشعر بها أي شخص يُستهلك الجلكوز في دمه، بعد فترة طويلة من السكون التام[١].

فما يراه البوذي هو أقرب إلى الهلوسة أو التخدير الدماغي.

أما المعجزات الحقيقة ورؤى الأنبياء فتحدث فجأةً ودون إعدادٍ مسبق، ويراها الناس ويشهدونها بأم أعينهم!

٦- كيف ينظر البوذيون للدنيا؟

الدنيا عند البوذية مجرد ذبذبات فلا صلب ولا سائل ولا غازي؛ الدنيا مجرد حلم ولكي تستيقظ عليك بالأسلوب البوذي في جهاد النفس.

فالعالم كله عندهم أمواج متذبذبة وطاقة مجردة، وهذا يخالف أبجديات العلم الحديث فالعلم الحديث يُفرق بين المادة والطاقة، والتحول من المادة إلى طاقة أو العكس يقتضي معاملات مختلفة فهناك مادة وطاقة وليس طاقة فقط!

فالكون ليس طاقة مجردة ولا ذبذبات فقط، بل هو مادة وطاقة.

وليست كل المادة بها ذبذبات كما تتخيل البوذية، بل إنه علميًا تتوقف تمامًا ذبذبة المادة في حالات درجة الصفر المطلق -عندما تنخفض الحرارة إلى الصفر المطلق يتوقف أي نشاط للمادة تمامًا والوصول لدرجة الصفر المطلق هو وصول نظري لكنه ثابت بمعادلات فيزيائية صحيحة-[٢].

٧- كيف ينظر البوذيون للخالق؟

---

(١)https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pubmed/٨٩٣١٦٥١

(موقع المركز الوطني الأمريكي لبحوث التقانة الحيوية وهو موقع حكومي ويعد من أكبر المراجع البحثية الطبية في العالم)

(٢) تدوير عجلة الحقيقة: التعليق على أول تعاليم بوذا، آجان سوكيتو.

البوذيون لا يؤمن بالخالق، ولا يعتبرون بوذا خالقًا أو إلهًا، وإنما يؤمنون بوحدة الوجود، أي تداخل الخالق والمخلوق فليس ثمة خالق ولا مخلوق[١].

وهذه الفلسفة تسمى فلسفة: «وحدة الوجود».

فالموجودات والموجِد شيءٌ واحد، فلا فرق عندهم بين موجِد وموجود، وخالق ومخلوق؛ فتماثيل البوذا خالقة ومخلوقة، وأنت خالق ومخلوق، وكل ما في الوجود خالق ومخلوق –تعالى الله عما يصفون-.

وهذا مخالف لأبسط أوليات العلم والعقل والرصد، فالنجاحات التي تحققها فيزياء ميكانيك الكم تمثل ضربة موجعة لهذه الفرضية -فرضية وحدة الوجود-، فميكانيك الكم تقرر أن العالم يقوم على الاحتمالية –يُراجع مبدأ عدم اليقين لهايزنبرج-[٢].، بينما وحدة الوجود تقرر نوعًا من الجبرية في الحركة والحتمية المادية حيث ليس للوجود الاختيار بين بدائل مختلفة، وإنما هو وجود مادي حتمي صارم لا يعرف الاختيار ولا الاحتمال[٣].

فالبوذية تقوم على الحتمية والجبرية، بينما يقول العلم بالاحتمالية وخطأ الحتمية.

-وسنقدم نقدًا علميًا آخر لوحدة الوجود في فصل الهندوسية إن شاء الله.

٨- ما مشكلة وحدة الوجود؟

وحدة الوجود رِدة فكرية ومعرفية كبرى، فهذه الفلسفة لا تجيب عن أكبر أسئلة وجودية على الإطلاق، مثل:

مِن أين جاء العالم؟

---

(١) الأوراق المجمعة في الدراسة البوذية، بادمانابه جيني.

(٢) يقوم مبدأ عدم البقين لهايزنبرج على أنه لا يمكن التنبؤ بمكان وسرعة الجسيمات الصغيرة في نفس الوقت، فدائرة الاحتمالات هي المسيطرة تمامًا، ومبدأ عدم اليقين هو قانون كوني وليس نظرية أو خلل في رصدنا أو قصور في الآلات العلمية؛ بل هو مبدأ عام يقرر أن الوجود المادي ليس سيد مصيره ولابد من قيومية الإله الخالق في كل لحظة.

(٣) موسوعة الرد على الملحدين العرب، هيثم طلعت، مقال: الإنسان ليس مسيرًا.

ومَن صاغ قانون الولادات المتكررة إذا صح؟

ومَن الذي صاغ قانون الوصول إلى الحقيقة بالتأمل؟

وإذا كان كل شيء مجرد طاقة وفعل ورد فعل وذبذبات فما مصدر كل ذلك؟

ولماذا هي ذبذبات وليست شيئًا آخر؟

ومِن أين جائت الولادات المتكررة؟

إن الأسئلة التي تواجهها وحدة الوجود تجعل البوذية كلها عرضة للانهيار أمام التعقل الهادئ لمعاني الأسئلة الوجودية الكبرى.

٩- مِم يتشكل جسم الإنسان من وجهة النظر البوذية؟

ما زال البوذيون يعتقدون أن جسم الإنسان يتشكل من أربعة عناصر وهي التراب والماء والهواء والنار[١]. ويضربون بأبجديات العلوم الطبيعية عرض الحائط، ولم يكونوا يتخيلون أن العلم سيكتشف هرائية هذا التقسيم اليوناني القديم يومًا ما.

فلم يكونوا يتوقعون أننا سنعرف أن جميع عناصر الأرض تعود إلى ١١٨ عنصرًا كما في الجدول الدوري لمندليف وليس إلى الماء والهواء والنار.

ففكرة الماء والهواء والنار والتراب صارت مساوية للخرافة.

والعجيب أن معابد البوذية إلى اليوم –مثل معبد وات بو البوذي في تايلاند- تقوم بالتدليك لضبط هذه العناصر الأربعة.

تخيل!

أيضًا من عجيب خرافاتهم المسطورة عندهم أنهم يتخيلون أن مركز الطاقة في جسم الإنسان ومصدر القوة يوجد بالقرب من السرة، ولذلك تجد في ألعاب القوى المأخوذة عن البوذية يضع أحدهم يديه بجوار سرته قبل بداية المباراة[٢].

---

(١) مصطلح الدهاتو في قانون بالي، بوذي ص٥٢٧

(٢)http://www.chakras.net/energy-centers/manipura

وهم يتجاهلون بذلك كل علوم التشريح الحديثة، فما خلف السرة وجانبيها إلا المصارين، ولا يوجد شيء في الجسد يسمى مركز قوة، فالقوة ليست أكثر من نشاط عضلي مرتبط بمعدلات أيض السعرات الحرارية وقوة ونشاط العضلة!

۞ ١٠- كيف جاء العالم من وجهة نظرهم؟

✍ كان بوذا يتصور أن العالم عبارة عن دورات لانهائية وولادات أبدية وموجودات أزلية[١].

لكن العلم الحديث أثبت خطأ هذا التصور تمامًا.

وأحد أكبر أدلتنا على أن للكون بداية وللزمان بداية هو القانون الثاني للديناميكا الحرارية ولتبسيط هذا القانون:

فأنت لو كان عندك كوب ماء ساخن في الغرفة فإن الحرارة ستنتقل من الماء الساخن إلى جو الغرفة حتى تعادل درجة حرارة الغرفة درجة حرارة الكوب، وهكذا يسري هذا القانون على كل شيء في الكون وفي لحظةٍ ما ستتعادل حرارة كل شيء في الكون وعند هذه اللحظة سيحدث الموت الحراري للكون.

ولو كان الكون أزليًا لكان المفترض أن يصير الكون متوقفًا الآن —ميت حراريًا-، لكن في الواقع الكون الآن في حالة أقل من الانتروبي القصوى، ولم يصل للموت الحراري بعد إذن هو ليس أزليًا، وله بداية ثابتة ظهر معها الزمان والمكان.

بالمناسبة القانون الثاني للديناميكا الحرارية قانون وليس نظرية!

وهو يسري على كل شيء، على الذرة وعلى المجرة!

بل لقد ظهر الكون عند الحد الأدنى من الأنتروبي- الأنتروبي أي الفوضى أو العشواء-، وهذا يعني أنه حدوثه على غير مثالٍ سابق —مُبدَع-.

(١)http://www.budsas.org/ebud/whatbudbeliev/٢٩٧.htm

(موقع بوذية الثيرافادا فيتنامي ويقدم مقالات رهبان بوذية الثيرافادا في فيتنام)

ولو كان الكون أزليًا لكانت الأنتروبيا لانهائية.

وأصبح هذا القانون يمثل أكبر ضربة يوجهها العلم لفلسفة دينية على الإطلاق وكانت الضربة من نصيب البوذية، فقد تبين أن الوجود حادث وأن الكون ليس أزليًا(١).

١١- إلى ماذا تدعو البوذية؟

تدعو البوذية إلى التعفف والبعد عن الذنوب بالتأمل والانقطاع عن الدنيا.

١٢- وما العيب في التعفف أليس هذا هدي جميع الديانات؟

وخز المعصية وتأنيب الضمير هي مقتضيات التكليف الإلهي داخل النفس البشرية.

فنحن كائنات مُكلفة تعرف معنى الطاعة وتجد أثر المعصية في النفس.

نعم؛ نحن كائنات تعلم الأخلاق وتعلم أنها مفطورة على القيم والمعاني الأخلاقية فهذه: «فطرة الله التي فطر الناس عليها».

أو الصبغة الإلهية هي التي صُبغنا عليها {﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗ ﴾ [البقرة:١٣٨].

أمام هذه الصبغة والتكليف والفطرة الإلهية يشعر الإنسان إذا ارتكب معصية أو ذنبًا، أو ظَلَم إنسانًا، بالحسرة وبضيق الصدر وبمحاولة التطهر من أثر تلك المعصية.

وقد أرشد الله عز وجل في الرسالة الخاتمة –الإسلام- إلى طريق الاستغفار والتوبة ورد المظالم وأن الله يمحو بذلك المعصية.

لكننا نجد في اليهودية وساطة بين الله وعبده، فالعبد يستغفر الله بالذهاب إلى خيمة الشهادة أو الهيكل في مرحلة تالية، ويقوم الكاهن بالاستغفار للعبد حتى يغفر الله له، ولا

---

(١) مقال للدكتور هيثم طلعت:

http://articles.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=٢٠٨٠١٢

نستطيع أن نجزم بأن هذه الطريقة هي التي أوحى الله بها لأنبيائه -بسبب غلظ قلوب اليهود- أم أنها من تحريفاتهم!

فقد قال النبي ﷺ: «ما حدَّثَكُم أهلُ الكتابِ فلا تُصدِّقوهم ولا تُكَذِّبوهم»[١].

فهنا نحن لا نجرؤ على الجزم بكون طريقة الواسطة بالكاهن هي الطريقة الموحى بها من الله أو أنها من تحريفات اليهود.

وجائت النصرانية وصار المسيح هو هيكل الله، فالإيمان بالمسيح عليه السلام كفارة للذنوب، وأصبح المسيح هو الكاهن الأبدي كما يقول الإنجيل بالحرف[٢]، وبالتالي نُسخ نظام الكهنوت اليهودي!

ولا ندري أيضًا هل كان مجرد الإيمان بالمسيح في تلك الحقبة العصيبة من الاضطهاد الروماني والفتن منجاة للبشر من الذنوب أم أنه من تحريفات النصارى وأنه لابد من التوبة الخاصة إلى الله والعمل الصالح؟[٣].

الله أعلم.

وبنفس القياس لا يجرؤ الباحث المنصف أن يصِم بوذا بأنه مهرطق أو منكر لطريق الأنبياء، فما الذي أدرانا أن التأمل وتنقية الذات من المعصية والتخلي للتفكر هي قربات لله وتكفير للمعاصي وأنها كانت شريعة تلك البلاد؟

خاصةً وقد أخبر الله عز وجل أنه ما من أُمةٍ إلا وخلا فيها نذير {﴿ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴿٢٤﴾ ﴾ [فاطر:٢٤].

---

(١) السلسلة الصحيحة ٦-٧١٢.

(٢) عبرانيين٧-١٧.

(٣) وهذا ظاهر جدًا في رسالة يعقوب في العهد الجديد بأن النجاة تكون بالعمل الصالح لكن خالفه بولس كثيرًا وأوضح أن مجرد الإيمان كافٍ للنجاة.

وأغلب رسل الله لا نعرف عنهم شيئًا ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [غافر:٧٨].

فقد أرسل الله مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا من الأنبياء.

وفي الحديث الصحيح قال أبو ذر رضي الله عنه: «قلت يا رسول الله: كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا والرسل من ذلك: ثلاثمائة وخمسة عشر، جما غفيرا»[(١)].

فنحن لا نجزم في شخص بوذا بشيء وهذا هو المنهج المنصف في التعامل مع الأفراد، خاصةً وأن أعمال بوذا لا يستطيع باحث بوذي فضلاً عن غيره أن يجزم بصحة نسبتها إليه!

لكن الذي نجزم به من كل ذلك أن الإسلام نسخ كل تلك العقائد كلها، وانتهت الوساطة بين الخالق والمخلوق ولم يبق للكهانة مكان، وأصبح التفكر في مخلوقات الله وتدبر آلائه، وتأمل طرائق خلقه أحد العبادات وليس العبادة الوحيدة.

والتخلص من المعصية في الإسلام يكون بالتوبة والإنابة ورد المظالم، وليس بتأمل وسكون كسكون الموتى والذي لا حد له ولا سند من وحيٍ ثابت!

١٣- كيف يصل البوذي إلى التعفف؟

عبر التأمل والسكون التام والاكتفاء بوجبة طعام واحدة في اليوم.

١٤- وما العيب في هذا النوع من التأمل؟

التأمل الذي تقرره البوذية يوجد مثله وأفضل منه في الشرائع السماوية وربما يكون هذا التأمل في البوذية من بقايا النبوات والله أعلم.

فالشرائع السماوية دعت إلى التفكر والتدبر والتأمل لكنه تفكر وتدبر وتأمل يؤدي إلى عمل وطاعة وشكر واجتهاد وليس إلى سكون الموتى {﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا

(١) الحديث صححه الشيخ الألباني رحمه الله في مشكاة المصابيح، وصحيح ابن حبان ٣٦١.

خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴾ [الروم:٨].

فالتفكر الحق هو الذي يؤدي إلى الطاعة والإنابة لله ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران:١٩١].

وكل ما في خلق الله يدعو إلى التفكر والتأمل في نعمه ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية:١٣].

والآيات في الحث على التدبر والتفكر كثيرة

﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس:١٠١]

﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الجاثية:٥]

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:١٦٤].

فما يتذكر وما يتفكر وما يتدبر في كل ذلك إلا أولو الألباب{ ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:٧].

فالتفكر والتدبر عبادة

وكان من كلام السلف: تَفَكُّرُ ساعةٍ خيرٌ من عبادةِ سنةٍ(١).

---

(١) اللؤلؤ المرصوع للقاوقجي، ص٦٦.

لأن التفكر مظنة الطاعة والقرب من الله وتدّبر آلائه وحكمه والرضا بقضائه وقدره والاستعانة به وحده على نوائب الدهر.

فالتفكر عبادة إسلامية.

١٥- هل يكتفي البوذي بوجبة طعام واحدة؟

نعم.

بل ويتسولها.

فالبوذي لا يعمل ولا يتزوج ولا يفعل شيئًا سوى تسول وجبة طعام صباحًا ثم قضاء بقية اليوم في حال تأمل.

البوذي من طائفة الثيرافادا يفعل ذلك.

والبوذي من طائفة الماهايانا يفعل ذلك داخل الدير أي في حال الرهبنة.

لأن الثيرافادا تشترط اتباع النمط الرهباني للوصول للنيرفانا، أما الماهايانا فيكفي الإنسان أن يترهبن ولو ليومٍ واحدٍ في حياته.

١٦- وما العيب في هذا النوع من التقشف والزهد؟

التقشف في البوذية والبعد عن المعاصي من فطرة الله التي فطر الناس عليها فالبعد عن المعصية ومحاولة عمل الصالحات هذه هبات من الله داخل النفس الإنسانية، فالنفس تميل لحب الصالح من العمل، فهذه منحة إلهية وليست منّة يُمتن بها!

لكن أن يتحول التأمل والتقشف إلى دين شحاذين وتسول وترك العمل والزوجة والأولاد كما يُنسب لبوذا أنه ترك زوجته وولده وأهله فهذا ليس من شيم العقلاء ولا غاية وجود ولا عدل مع موجود، وليس فيه إلا تضييع حق من يعول، فما ذنب الأميرة ياسوهارا زوجة بوذا التي لم يعد إليها وما ذنب ابنهما راهولا؟!

وإن كان الابن راهولا قد ذهب لأبيه في مرحلة لاحقة كما يقال، فهذا لن يعفي الأب من المسئولية!

إن البوذي لا يكتفي بإثم تضييع من يعول بل هو نفسه يتحول إلى عائل فقير ينتظر مَن يطعمه كل صباح، ويفترض البوذيون أن الشحاذة هي لاكتساب صفة التواضع والفقر، وهذا أمر عجيب شبيه بمن يتباهى بأنه لص حتى يكتسب صفة التخفي والانزواء عن الناس.

ومن التناقضات العجيبة أن معابد البوذية من ذهب، وهناك تمثال لبوذا من الذهب الخالص يصل وزنه إلى ٥,٥ طن في معبد وات تريميت ببانكوك بتايلاند[١].

فكيف يتساوى هذا مع الدعوة للتشقف؟

١٧- ما العيب أن تكون طريقة حياتنا على النمط البوذي البسيط؟

مَن قال أن غاية وجودنا تكمن في أن نتسول وجبة طعام كل صباح ثم نقضي بقية اليوم في حالة سكون تام؟

مَن الذي قال أن هذه غاية الوجود؟

مَن قال أننا جئنا إلى هذا العالم من أجل أن نرتدي قطعة قماش ونجلس في جلسة اللوتس إلى أن يأتي الموت؟[٢].

إن أدنى الحشرات أوعى منّا لمهمة الوجود وعمارة الأرض وإصلاح الحياة من البوذيين، فتجد أسراب النمل تعمل في جهد ونظام لخيرها وخير أولادها، وتجد الباكتريا الدقيقة تنتظم في الأمعاء لتُفيد وتستفيد وتسير الحياة بنواميس لا يُفسدها إلا تالف العقل والنفس!

إن البوذية دين البطالة والتقاعس والجهل بمعنى الوجود وغاية الوجود ومصدر الوجود ومقتضى الوجود!

إن البوذية هي الجهل بكل موجود والشك في كل شيء في الوجود!

١٨- لماذا لا يكون التخلص من السمسارا هدفًا في حد ذاته؟

---

(١) مجلة فرونتالين للفن البوذي، (الهند)، مايو ١٩٨٩، ص٧١.

(٢) الطريق إلى البوذية، يين شون ويونج هـ وينج.

✍ السمسارا تعني: الولادات المتكررة.

وهذه الفكرة خطأ علميًا كما أثبتنا قبل قليل.

بالإضافة إلى ذلك؛ هذه الفكرة سخيفة عقلاً فافتراض أن الولادات المتكررة عذاب هو افتراض تشاؤمي ساذج، فأغلب البشر لو سألتهم هل تتمنون أن تولدوا ثانيةً وأن تجربوا الحياة مرةً أخرى فلن يتردد الكثير منهم في الإجابة بنعم؛ بل ربما لو خُيروا بين النيرفانا التي لا يعرفون عنها شيئًا وبين الولادة المتكررة لاختاروا الولادة المتكررة.

فما بالك لو علموا أن النيرافنا هي حالة غير مدركة من نهاية العذاب والفرح والذات.

فمَن الذي يخاطر بالوصول لهذه الحالة الشبيهة بالعدم؟

ثم إن النظرة البوذية التشاؤمية للوجود بأكمله وأنه وجود عذاب هي نظرة كاذبة كما أوضحنا من قبل؛ فالوجود فيه خير كثير وفيه نعم لا تُحصى.

وليس العذاب في الولادة المتكررة على الحقيقة وإنما العذاب هو في الخوف من مجهول النيرفانا.

فلو تفكّر البوذيون في ذلك ربما لتركوا التسول وضياع الأعمار في التأمل!

وإذا كان جوهر كل هذا التأمل هو محاولة إيجاد السلام مع النفس؛ فالتسبيح والاستغفار في الإسلام مرضاة للرب وإصلاح للنفس وبناء للعبد دون هذا التقشف والتعنت الذي لا مبرر له.

ثم إن فلسفة التأمل لبلوغ الاستنارة هذه اللغة قد يفهمها بعض المثقفين أو الباحثين، أما عوام البشر فلا يفهمون من هذا التعقيد الفلسفي شيئًا، وهذا يؤكد دخول الفلسفة في البوذية مبكرًا.

۞ ١٩- ما العيب في الانقطاع عن الناس وشرهم كما يفعل الراهب البوذي؟

✍ من أصول الرهبنة البوذية أن الراهب البوذي ينام قليلاً ولا يعمل ولا يجتهد في شيء ولا يجمع شيئًا ولا يؤسس بيتًا ولا يزرع ولا يصنع، ولا يأكل إلا وجبة واحدة في اليوم

قبل الثانية عشر ظهرًا؛ فالراهب البوذي يستيقظ مبكرًا وفي يده إناء صغير يقف به أمام البيوت متسولاً إلى أن يأتي أحد الأشخاص ويقوم بوضع طعام في إناءه، ثم يعود إلى صومعته فيأكل ذلك الطعام ويجلس بقية يومه متأملاً!

هذه هي حياة الراهب البوذي!

إن هذه الرهبنة التي أضاعت حقوق الناس وحقوق المجتمع، وحقوق البوذي نفسه باعتباره إنسانًا له متطلبات مثل الطعام والزواج وما أحل الله ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف:٣٢].

فهذه الصورة من الرهبنة متضخمة جدًا في النموذج البوذي.

والسؤال هنا: ما معنى أن يعتزل البوذي الناس، وأن يتوطن في رؤوس الجبال والمواضع البعيدة عن العمران، ما هي الفائدة التي ستعود على الناس من ذلك؟

إن الدين الحق دين جد ونصيحة ومخالطة للناس وإصلاحٌ لهم، وليس تفلتًا منهم في الوديان والصحاري!

فالذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خيرٌ من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم[١].

إن الذي يُشدِّد على نفسه ويحرم بدنه الطيبات من الرزق هو بذلك يضيع حقوق الناس بعد أن يكون قد أضاع حق نفسه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا تشددوا على أنفسكم فيشدِّد اللهُ عليكم؛ فإن قومًا شددوا على أنفسهم، فشدَّد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديار، ﴿ **وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ** ﴾ [الحديد:٢٧]»[٢].

---

(١) صحيح سنن ابن ماجة حديث رقم ٣٢٧٣

(٢) رواه أبو داود، وحسنّه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح، ص١٨١.

فالرهبنة توقع في الشدة، وتضيع بعض ما وَجَب؛ وهذا ما وقع في النموذج البوذي بتمامه فهلكوا وأضاعوا وضيعوا حقوقهم وحقوق الناس.

۲۰- كيف نحقق الارتقاء ومقاومة الشهوات إذا لم يكن عبر الانقطاع؟

تجاوز الأنا وتجاوز أسر الشهوات هو من أهم ما يميز البوذية، لكنه يوجد في القرآن الكريم بمثالية تصلح للتطبيق قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

فالخوف من الجليل والعمل بالتنزيل هو مظنة النجاة!

وعقبة النفس يمكن تجاوزها بسهولة دون هذا التأمل البوذي الحارق والتفشف الخانق، فمجرد العمل الصالح ومخالطة الناس والصبر على أذاهم وإعانتهم في الخير هو اقتحام لعقبة أسر الشهوات، قال الله تعالى: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾ [البلد: ١١-١٨].

فحضور الهرب من النفس وشهواتها حضور قوي في القرآن الكريم، لكنه حضور يصلح لبناء مجتمع وتأسيس أسرة من دون تفويت حق.

فالحمد لله على نعمة الإسلام!

۲۱- هل كان بوذا ملحدًا؟

قد يقول قائل أن بوذا لم يتحدث فيما رُوي لنا عن الله أو أنه سكت حين سُئل عن الله!

لكن مَن قال أن عبارة واحدة ثبتت صحتها لبوذا؟

ومَن قال أن قانون بالي يجمع كل ما قال بوذا؟

ومَن قال أن السكوت عن الحديث عن الله يعني الهرطقة أو الإلحاد؟

لقد كانت الديانات القديمة تقدس الذات الإلهية تقديسًا عظيمًا، وكان اليهود في تلك الحقبة من التقوى –كما يقولون- أيضًا بحيث أنهم لم يكونوا ينطقون اسم الله، وكانوا يقولون ملكوت السماوات بدلاً من ملكوت الله[١].

فعدم حديث بوذا عن الله إذا صحّ لا يفيد شيئًا ولا يوصلنا لنتيجة.

بل قد يقول قائل أن عدم حديث بوذا عن الذات الإلهية كثيرًا سببه خشية التحريف وسوء الفهم؛ خاصةً وأن المجتمع الهندي يتقلب في الوثنية بعد التوحيد كثيرًا.

لكن حتماً لو كان بوذا من أتباع الأنبياء أو تلاميذهم أو كان نبيًا كما يدعي البعض فهو قطعًا حثّ الناس على عبادة الله وتوحيده ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء:٢٥].

فهذه غاية كل الرسل وهي أشرف وأزكى دعوة في الوجود.

٢٢- هل بالفعل البوذيون لا يعبدون بوذا كما يتهمهم كثير من معارضيهم؟

يقول البوذيون: وصل سيدهارتا غوتاما بوذا إلى الاستنارة الكاملة.

ولا يعتبر بوذا عند البوذيين المعاصرين إلهًا ولا ابن إله ولا نبيًا ولا رسولاً.

بل إنسانٌ كامل.

ولا يوجد عبودية للأوثان عند البوذية وإذا أراد البوذي أن يستدفيء فله أن يضع تمثال بوذا في النار ليستدفيء به.

والركوع لبوذا هو نوع من التبجيل الزائد.

وتماثيل بوذا التي تملأ جنبات بيوت ومعابد وشوارع وفنادق البوذيين هو أيضًا تبجيل زائد.

وقولهم: «أتخذ من بوذا ملجئي» هو احترام لمهمته التي قام بها على الأرض.

هكذا هم يقولون دفاعًا عن ديانتهم باستمرار.

لكن من قال أن العبادة معناها افتراض أن بوذا هو الخالق؟

(١) وردت كلمة ملكوت السماوات في إنجيل متى وحده ٣١ مرة

من قال أن العبادة مقتضاها التسبيح والتهليل لبوذا؟

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن ظن في عباد الأصنام أنهم كانوا يعتقدون أنها تخلق العالم أو أنها تنزل المطر أو أنها تنبت النبات أو تخلق الحيوان أو غير ذلك، فهو جاهل بهم بل كان قصد عباد الأوثان لأوثانهم من جنس قصد المشركين بالقبور»[(١)].

فمجرد طاعة البوذا في كل أمر ونهي هي العبودية الكاملة وإن لم يعتبروه إلهاً ولا ابن إله.

فالإيمان بتعاليم بوذا واعتباره المرجع في كل أمر ونهي والصدور عنه في كل ما يقول دون نسبة ما يقوله إلى الله هو أصل العبادة والتأليه.

قال الله تعالى عن النصارى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١].

مع أن النصارى لا يعبدون الأحبار ولا الرهبان لكنهم فقط يصدرون عن قولهم في كل أمر ونهي، دون أن يكون لقولهم سندًا من وحي؛ وهذا منتهى العبادة.

ولذلك حين جاء عدِيُّ بنُ حاتِمٍ إلى النبيِّ ﷺ وكان قد دان بالنصرانِيَّةِ قبلَ الإسلامِ فلما سمِعَ النبيَّ –ﷺ – يقرأُ هذه الآيةَ قال: يا رسولَ اللهِ إنَّهم لم يعبدوهم فقال بلى إنَّهم حرَّموا عليهم الحلالَ وأحلُّوا لهم الحرامَ فاتَّبعوهم فذلِكَ عبادتُهم إيَّاهم وفي روايةٍ أنَّ النبيَّ قال تفسيرًا لهذِهِ الآيةِ أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنَّهم كانوا إذا أحلُّوا لهم شيئًا استحلُّوه، وإذا حرَّموا عليهم شيئًا حرَّموهُ.

فتلكم هي العبادة التامة.

٢٣- هل ترى أن البوذية وثنية؟

---

(١) مجموع الفتاوى ١-٣٥٩.

✍ كل المصلحين والأنبياء والدعاة الصادقين ما حاربوا شيئًا أشد من وثنيات أقوامهم؛ تلك الوثنيات التي تُسهل لهم المعصية ويتحول معبد الوثنيات إلى مركز للفجور وارتكاب للفواحش ومحراب للطغيان كما تخبرنا دراسات ديانات الأقدمين.

فالوثن يُتخذ سترًا ووِجاءًا للهرب من التكاليف الشرعية التي يأمر بها الله، ويحاول الوثني أن يتستر ويحتج بهذا الوثن في معاصيه وكفرياته.

ثم يقوم الوثني بإشراك هذا الوثن مع الله في الخلق والأمر، ثم يجعل من ذلك الوثن دينًا بل ويتقرب بوثنه هذا إلى الله وهذا فيه كفر وكذب وجحود أيما جحود بمعنى الرسالة وبمطلب التكليف وبغاية الوجود!

ولذا فقد وصف الله عز وجل هؤلاء الوثنيين بأنهم كاذبون كفار ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر:٣].

فحين يريد الوثني المعصية فإنه يتقرب بقرابينه للوثن: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ [النحل:٥٦].

ويجعل لله نصيبًا ولوثنه نصيبًا ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الأنعام:١٣٦].

وأمثال هؤلاء يعلمون قطعًا أنهم لا يملكون برهانًا على إشراكهم لأوثانهم مع الله ﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [النمل:٦٤].

وأنى لهم البرهان!

وأنى لهم البرهان!

ولذلك كانت أول خطوة ابتدأها بوذا في دعوته أنه تمرد على الأوثان ولم يؤمن بأيٍ منها، وتجرد للتأمل والتفكر والتدبر!

أما ما وصل إليه أتباع بوذا اليوم فهو كفر وهرطقة ولا شك!

فلا فرق بين البوذية المعاصرة والديانات الوثنية، فالبوذية صارت فلسفة التماثيل والمسبوكات البشرية والأيقونات وإنكار الألوهية بل والربوبية.

٢٤- هل بذلك كل بوذي هو كافر؟

البوذية ديانة شركية كفرية لا خلاف في ذلك بين أهل الإسلام[(١)].

فالبوذية هي أحد صور الإلحاد المعاصر، حيث أنها لم تعد أكثر من فلسفة تُعيد صياغة المنتج الإلحادي بنفس مقدماته مثل:

أزلية العالم، وقِدم الكائنات الحية.

والإيمان بالإنسان كقيمة مطلقة في الوجود.

وإنكار الوحي الإلهي والرسل والرسالات والكتب السماوية.

وإنكار البعث والقضاء والقدر.

وفوق كل ذلك إنكار الخالق سبحانه.

ونسبة خلق الطبيعة إلى ذاتها.

واعتبار أن الوجود صورة ليس لها غاية إلا المعاناة والبؤس والتشاؤم والشقاء.

وهذه كلها معطيات إلحادية مائة بالمائة.

إذ ليس أشد من هذا الكفر كفر!

فهذه المعطيات هي التي ولدّت الإلحاد والبوذية والعدمية والعبثية.

---

(١) رسائل في الأديان والفرق والمذاهب، محمد الحمد، ص٤٠، بتصرف.

ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود بن عبد العزيز الخلف، ص١٤، بتصرف.

وإن اعتبرت البوذية نفسها دينًا، إلا أن هذا لا يُخرجها من إطار نفس المقدمات الإلحادية فالعبرة بالمُسمى لا بالاسم!

فالبوذية عقيدة كفر وإلحاد.

وإن اعتبرت البوذية نسفها فلسفة أو دين أو طريقة أو مذهب فطالما أنها تعارض أصل رسالات الأنبياء وتنكر الخالق فلتُطلق على نفسها ما تشاء من الأسماء فالمسمى واحد.

خلاصة الأمر:

هناك ٥٠٠ مليون بوذي تقريباً حول العالم، هذا الرقم الضخم المفترض أن يشكل هدفًا كبيرًا للدعوة للإسلام، فالبوذية ليست كالمذاهب الأخرى أو الديانات التي لديها خطط دفع أو تملك أجوبة وجودية كبرى تشكل عقبة في وجه الدعوة للإسلام!

البوذية على النقيض من ذلك تمامًا!

البوذية ديانة خالية الوفاض..

لا تملك جواب سؤال وجودي واحد.

لا تعرف تفسيرًا واحدًا للمسائل الكونية الكبرى مثل:

ما مصدر الكائنات الحية؟

ومِن أين أتى العالم؟

وما مصدر النيرفانا؟

وكيف تشكلت النيرفانا؟

ومَن الذي شكَّل النيرفانا؟

ومَن الذي وضع قانون السمسارا؟

وكيف نعلم أن بوذا كان مُحقًا في التوجيه بالتخلص من السمسارا بالتأمل؟

وما الفرق بين الوهم والإيحاء الكاذب وبين الاستنارة البوذية؟

وكيف تكون غاية وجود الإنسان أن يعتزل العالم ويتسول لقمته ويُحرم من تكوين أُسرة ويجلس في سكون إلى أن يموت؟

وكيف يستطيع بوذا أن يراك بمجرد رسم عينه على المعابد؟

وكيف علم بوذا أن هناك بوذا المستقبل سيأتي؟

وما الذي أدرى بوذا أنه ذاهب للنور المطلق والكمال التام؟

ما مصدر هذه المعارف؟

من أي سلطان تُستمد هذه المعارف؟

كيف تتحول ظنون بوذا إلى قطعيات؟

﴿ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ﴾ [الأنعام:١٤٨].

كل فروض البوذية وتخميناتها مجرد تخريص ورجم بالغيب وليست علومًا مُؤسسةً على سندٍ من وحيٍ أو معرفة!

فإذا أنكرَت البوذية الخالق وأنكرت النبوات والوحي الإلهي فبأي أثارةٍ من علم تُقدم أدلتها على النيرفانا والكارما والسامسارا والولادات المتكررة والاستنارة والبوديستفا وبوذا القادم؟

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأحقاف:٤].

لو لزمت البوذية الصمت تجاه الأسئلة الوجودية الكبرى لكان الأمر مُستوعبًا، لكن أن تطرح أجوبتها وتقول بأزلية الكائنات الحية وأننا نولد ونتوالد أبد الدهر ومنذ الأزل فهذه طامة الطامات، فهذا يعني أن واضعو هذه الفروض وقعوا في خطأ علمي كارثي فقد ثبُت بالدليل القطعي حدوث العالم وحدوث الأرض وحدوث الكائنات الحية، وأن للأرض عُمُرًا وللعالم عُمُرًا وللكائنات الحية عمرًا وليس أيٌّ منهم أزليًا أو أبديًا!

ثم إن فرض البوذية الثاني وهو المتعلق بالكارما؛ هذا الفرض يُدمر معنى الإنسان فلا عزاء لكل المضطهدين ولا المعذبين ولا أصحاب البلاءات فما هم فيه جراء معاصٍ في ولاداتٍ سابقة، وهذا يعني عبث التدخل لإنقاذ المرضى والمُبتلَين.

والفرض الثالث في البوذية وهو فرض السامسارا؛ هذا الفرض لا يدعمه دليل واحد علمي ولا معرفي وإنما هي تخمينات فلسفية عتيقة عفا عليها الزمن ولم تبق إلا لأن هناك من يظنها دينًا.

ثم إن هذا الفرض يخالف ما عليه جماهير البشر وشرائع السماوات من أن الموت لا يكون إلا مرةً واحدة ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الدخان:٥٦].

أما الفرض الرابع المتعلق بالاستنارة. فما هي الاستنارة؟

وما أدرانا أن الذي ذهب له بوذا هو النور الكامل؟

وما معنى هذا النور؟

وما مصدره؟

وكيف علم بوذا أنه ذاهب إليه؟

وإذا كان العدم والعماء ووحدة الوجود وحتمية الحياة هي قوانين العالم في البوذية فما الذي يجعل البوذيين يؤمنون بمعانٍ ليست من هذا الوجود مثل النور الكامل والكمال التام؟

فهذه معانٍ مطلقة ليست من هذا العالم المادي القاصر!

ثم مِن أين للبوذي بأن هذا العالم الذي نعيش فيه هو عالم العذابات؟

ومِن أين له أننا يجب أن نتخلص منه ومن ولاداته المتكررة؟

وفق أي قانون أو سند معرفي أو علمي وضع البوذي هذا الفرض؟

ومِن أين له أن نهاية الرهبنة البوذية هي الاستنارة الكاملة؟

﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [النمل:٦٤].

ثم يفترض البوذي أن العالم تذبذبات وفعل ورد فعل.

وهذا خطأ تمامًا فليس العالم هكذا ولا يسير العالم في هذا الاتجاه ولا يوجد شيء في الفيزياء يسمى أن العالم مجرد تذبذبات بل هناك ١١٨ عنصرًا مختلفين في الجدول الدوري وهناك عناصر مستقرة حتى العنصر ٨٣ من الجدول الدوري —ذرة البزموت– ثم عناصر سبعة مشعة.

ففرضية أن العالم مجرد ذبذبات هي فرضية ماتت بظهور الجدول الدوري للعناصر.

أيضًا هناك حالة فيزيائية يصل فيها العنصر إلى السكون التام ويتوقف عن أي نشاط فيزيائي على الإطلاق وهي حالة الصفر المطلق، فنظريًا حين يصل العنصر إلى درجة الصفر المطلق يتوقف تمامًا ولا يكون له أي نشاط أو ذبذبة أو أي شيء من ذلك.

إن الذين كتبوا البالي قبل ألفي عام لم يكونوا يعلمون شيئًا عن هذه المعارف المعاصرة، لكن الحرج أن يظل أناسٌ يدافعون عن هذه الفروض أو يتبنون هذه الديانة.

ثم إن فرضية أن العالم مجرد فعل ورد فعل هي فرضية أسخف من سابقتها لأننا نعلم اليوم أن ميكانيك الكم لا يقوم على هذا التصور إطلاقاً بل يستحيل علميًا التنبؤ بسلوك أي جسيم على الإطلاق في وقتٍ معين.

وهذا ما يعرف بمبدأ عدم اليقين لهايزنبرج وقد أشرنا إليه قبل ذلك!

ففكرة الفعل ورد الفعل المفترض أنها ماتت هي الأخرى بمولد ميكانيك الكم في عشرينيات القرن الماضي!

إن الدعاوى التي تؤسس لها البوذية هي من الخطورة بمكان لضخامة مقدماتها وانعدام حججها وأدلتها!

وكل ما تقرره البوذية ثبت أنه وهم وهراء!

من أجل كل ما سبق أصبحت مهمة دعوة هؤلاء للإسلام يسيرة!

والكثير من البوذيين حول العالم يتخذون البوذية كفلسفة وليس كديانة بسبب هذه الإشكالات الكبرى، خاصةً الذين درسوا منهم مقدمات العلوم المادية المعاصرة.

وهم يتبنون البوذية لقلة مشاريعنا الدعوية نحن تجاههم!

فالبوذية منهج هش؛ لا يحتاج في نقده إلا بعض المعرفة والضبط العقلي والأسس العلمية اليسيرة.

فدعوة البوذيين مشروع عظيم نسأل الله أن توفق مؤسسات دعوية لتبنيه وثمرته إن شاء الله طيبة![١].

---

(١) بعض فقرات هذا الفصل من "وثيقة البوذية" الباب الأول الفصل الخامس، "مركز المنهاج" للمؤلف.

الفصل الثالث

كيف تدعو هندوسياً إلى الإسلام؟

۞ ١- ما هي الهندوسية؟

✍ الهندوسية: ديانة أو بمعنى أدق "طريقة في الحياة" تشمل جملة من الطقوس والشعائر والعبادات والكتب المقدسة والمفاهيم الكونية والوجودية[١].

فهي: فلسفات وممارسات تداخلت فيها كثير من الوثنيات والخرافات [٢].

فقد تشكلت الهندوسية عبر سلالة معقّدة من المذاهب تُبيح كتبها المقدسة نظاما إيمانيا متنوعاً، إذْ لا تملك الهندوسيّة عقيدة واحدة، ولا تعترف بحقيقة نهائية، وتتجسّد فيها قوى الطبيعة والأبطال البشريين والحيوانات والأسلاف كآلهة تؤدَى لهم العبادة بالصلوات والقرابين والتقديس [٣].

۞ ٢- كيف نشأت هذه الديانة بهذا التعقيد؟

✍ الهندوسية تعني الهند!

الهند الدولة والمناخ والتاريخ والتعقيد والتقاليد.

فهي ديانة تكاد تكون حصرية بالهند، حيث يوجد في الهند قرابة ٩٥٪ من الهندوس في العالم [٤].

وقد نشأت الهندوسية على إرث فلسفات ومعتقدات وتصورات تشكلت عبر قرون من الزمن منذ قرابة ١٥٠٠ قبل الميلاد وحتى ٥٠٠ ميلادية، أي أنها ظلت تتشكل طوال ألفي

---

(١) دراسة الهندوسية، أرفيند شارما، ص١٢-١٣.

(٢) ترجمان الأديان، د. أسعد السحمراني، ص ٥٣.

(٣) - عالم الأديان بين الأسطورة والخيال، فوزي محمد حميد، ص ١٧٥، الأديان في تاريخ شعوب العالم، سيرغي أ. توكاريف، ترجمة: د. أحمد م. فاضل، ص ٢٩٥ وما بعدها.

(٤) http://www.pewforum.org/files/١٢ /٢٠١٢/globalReligion-tables.pdf.

عام، فالهندوسية بخلاف بقية الديانات، ليست دينًا موحدًا، وإنما هي شتات من المعتقدات والأفكار والممارسات والطقوس[(١)].

ونظرًا لذلك فالهندوسية ليس لها شخص مؤسِس؛ فنقول مثلا: تأسست الهندوسية على يد فلان، وإنما هي اجتهادات وأفكار وبقايا ديانات جُمعت في بوتقة واحدة وسُمي ما في هذه البوتقة باسم: «الهندوسية»[(٢)].

ومن أجل ما سبق لا تتوقع أن تجد نظام لاهوتي تعبدي واحد، أو منظومة طقوسية محددة الملامح، وإنما أنت أمام طيف واسع من التطبيقات والممارسات، أيضًا لا تتوقع أن تجد في الهندوسية نظامًا هيكليًا دينيًا مركزيًا واحدًا يجمع الهندوس، فأنت حرفيًا أمام شتات من آلاف التجمعات الدينية المستقلة لاهوتياً تمامًا![(٣)].

٣- ما هي عقيدة الهندوس بالتحديد؟

الهندوسية عقيدة وثنية بكل ما تحمل الكلمة من معنىً، ففي الهندوسية عدد لا حصر له من الآلهة، وإن كانت أغلب فرق الهندوسية تؤمن في الأخير بالله الواحد، إلا أن هذا لا ينزع عنها صفة الوثنية ففي كل فرقة تجسدات إلهية "أفاتار" وأصنام وتماثيل ومسبوكات بشرية[(٤)].

٤- كيف علمتَ أن الهندوسية في الأصل توحيدية تؤمن بالله الواحد؟

السادهو –الناسك الهندوسي-: هو أعلى المراحل الإيمانية في الهندوسية؛ لا يؤمن إلا بالإله الواحد الخالق، وبالهندوسية الله الواحد يسمى "البرهمان».

---

(١) الهندوسية، ألف هليبيتال، ص١٢.

(٢) الهندوسية: العقيدة والممارسة، جينين د. فاولر، ص١-٧.

(٣) الهندوس: معتقدهم الديني وممارساتهم، جوليوس ج. ليبنر، ص٨.

(٤) أديان جنوب آسيا: مقدمة، ميتال س. ج. ر.، ص٢٧

لكن الهندوس يفترضون أن الإله الواحد يتخذ تجسدات لانهائية وصور كثيرة فيكون شيفا وفشنو وشاكتي ويتسجد في راما وفي كرشنا وغير ذلك من الانحرافات الكفرية عن العقيدة التوحيدية[١].

فالأصل عندهم هو التوحيد ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [العنكبوت:٦١].

لكنهم سقطوا في تجسيد الإله وتعديد ذاته بتعدد صفاته.

٥- كيف نشأت هذه الوثنية بعد أن كانت ديانة توحيدية؟

مشكلة الهندوسية الكبرى هي في افتراض أن صفات الخالق المتعددة تتطلب ذوات متعددة، فهم يفترضون أن الخالق البرهمان تجلى في عدة آلهة ليحقق جملة من الصفات؛ فالخالق أصبح:

براهما: من حيث هو خالق الكون عندهم.

وفشنو: من حيث هو حافظ الكون عندهم.

وشيفا: من حيث هو مدمر الكون عندهم[٢].

وهذا افتراض سطحي ساذج للصفات الإلهية، فتعدد الصفات لا يقتضي تعدد الجواهر-تعدد الذوات أو تعدد الآلهة-.

وهذا أصل وثنية الهندوس، حيث يفترضون أن لكل صفة إلهية تجسد إلهي وذات إلهية مستقلة، وهذا خلل عقلي كبير.

٦- كيف نرد على الهندوس في مسألة أن تعدد الصفات لا يلزم منها تعدد الذوات؟

الذات قد تعلق بها أكثر من صفة، فقد يكون إنسان ذكي وقوي وأديب وفنان.

فلا يلزم من تعدد الصفات تعدد ذوات ذلك الإنسان.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) موسوعة الفلسفة الشرقية والدين، ستيفان شوماخر، ص٣٩٧.

فالإنسان الذكي هو نفسه القوي هو نفسه الأديب.

فنقول: زيدٌ ذكي وماهر وأديب وفنان.

ولا يلزم من ذلك في العقل أن يوجد أربع أشخاص يحمل كل واحدٍ منهم صفة مستقلة.

ولله المثل الأعلى!

فلله الأسماء الحسنى والصفات العلى، ولا تتعدد الذات الإلهية بتعدد صفاته.

ثم إن تعدد الذوات يقتضي التبعيض، أي يتجزأ الإله ويتبعض.

وإذا تجزأ وتبعض فإن هذا يقتضي التركيب.

والتركيب يستلزم الافتقار.

والافتقار على الخالق –حاشاه سبحانه– محال لأنه بذلك لا يكون إلهًا.

وبهذا نقطع أن الوثنية مخالفة للعقل والمنطق.

٧- كيف ينظر الهندوس إلى العالم؟

أصل الهندوسية يقوم على وحدة الوجود، حيث يتجسد الخالق في كل مخلوقاته[1]. –**تعالى الله عما يصفون**–، ولذلك هم يرفضون إيذاء أي كائن حي.

وفكرة وحدة الوجود مناقضة لأبجديات العقل والنظر.

فافتراض أن ذات الخالق هي ذات المخلوق هو افتراض ساقط عقلاً لأنه يفترض تعلق ظهور الشيء على ظهوره.

وهذا تناقض ظاهر ومحال عقلي بائنٌ عواره.

فكيف يكون الشيء سببًا لظهور نفسه، إذا هو لم يكن قد ظهر بعد أصلاً!

---

(١) موسوعة الهندوسية، جونز ورايان وجميس د.، ص٣١٥.

أما الخلل النظري في وحدة الوجود فهو من حيث أننا اكتشفنا أن العالم حادث وغير أزلي[١]، وطالما أن العالم حادث إذن لم يكن ثمة زمان ولا مكان ولا مفعولات – موجودات مادية مثل الكون والارض والإنسان-.

وطالما لم تكن ثمة مفعولات فلا يتعلق بها شيء أصلاً قبل ظهورها فضلاً عن أن توجِد شيئًا غيرها فضلاً عن أن توجد نفسها كما تتصور فلسفة وحدة الوجود.

-مع ملاحظة أننا نقدنا فكرة وحدة الوجود في الفصل السابق المتعلق بالبوذية لكن هنا طرحنا إشكالات أخرى في هذه الفرضية-

٨- ما هو الإشكال الأكبر في العقيدة الهندوسية؟

الإشكال الأكبر في الفكر الهندوسي نابع من اتخاذ صور آلهة كثيرة.

وتنزيل كل صفة إلهية وكل فعل إلهي على صورة إله مستقل.

فصار للحياة إله وللموت إله وللانتقام إله وهكذا..

وهذا التصور هو أصل الوثنيات.

فكلما تعددت الصفات عندهم تعددت الجواهر.

كما ذكرنا قبل قليل.

وهذا أيضًا أصل كفر النصارى.

حيث اتخذ النصارى من الكلمة إلهًا مستقلاً، فهو يقولون: «وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ»[٢].

بل إن أصل المخالفات العقدية في الشرائع التوحيدية هو هذا التصور الخاطيء:

---

(١) كل كشوف العلم الحديث تصب في أن الكون حادث، فالمواد المشعة تتحول مع الوقت إلى مواد مستقرة ولو كان الكون أزليًا لما كانت هناك مواد مشعة، أيضًا قانون الديناميكا الحرارية الثاني ينص على أنه لو كان الكون أزليًا لكان متوقفًا الآن ولكان عند درجة حرارة الصفر المطلق.

انظر: الأوراق الرياضية والفيزيائية، مجلد١ ص١٧٤

(٢) إنجيل يوحنا إصحاح١ عدد١.

حيث تظن بعض الفرق أن تعدد الصفات يقتضي تعدد الجواهر، فقاموا بإنكار الصفات عن الخالق مثل: المعتزلة والمعطلة.

فالمعتزلة خافوا من إثبات الصفات للخالق ظنًا منهم أن الصفات تقتضي التبعيض أو تعدد الجواهر فأنكروا الصفات جملةً وتفصيلاً.

وهذا من عجيب تصورات البشر.

فتعدد الصفات يقوم بالجوهر الواحد ولا يلزم منه تعدد الجواهر.

وقد أجاب الله عز وجل في كتابه العزيز عن هذه الحقيقة بأنصح بيان فأخبر سبحانه أنه واحدٌ أحد، وأن له الأسماء الحسنى والصفات العلى.

فقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

فأثبت لذاته الواحدنية وأثبت لذاته الأسماء والصفات.

ولو انضبطت عقيدة الأسماء والصفات في الأذهان ما توثّنَ من توثن، وما كفرَ من كفر، وما ضل من ضل!

٩- ما هي الغاية من الوجود لدى الهندوس؟

الموكشا: أي التخلص من تكرار الولادات.

هذه غاية الوجود عندهم.

-نلاحظ هنا أن هذه الغاية مطابقة لتلك التي لدى البوذية مع اختلاف المسميات ففي البوذية النيرفانا وفي الهندوسية الموكشا-

فهم يتخيلون أن البشر بعد موتهم تتناسخ أرواحهم في كائنات أخرى وهكذا إلى ما لا نهاية وللتخلص من هذه الولادات المتكررة يتنسك الراهب الهندوسي، ويبتعد عن الذنوب حتى يصل إلى مرحلة الموكشا وفيها لا يرجع الى الدنيا مرةً أخرى بعد وفاته.

هذا هو الهدف الأخير من الهندوسية!

فبالتخلص من تناسخ الأرواح وتكرار الولادات ينجو الإنسان!

لكن مَن قال أن الولادات المتكررة عذاب؟

إن أغلب البشر لو سألتهم هل تتمنون أن تولدوا ثانيةً وأن تجربوا الحياة مرةً أخرى فلن يتردد الكثير منهم في الإجابة بنعم؛ بل ربما لو خُيروا بين الموكشا التي لا يعرفون عنها شيئًا وبين الولادة المتكررة لاختاروا الولادة المتكررة.

ثم إن النظرة الهندوسية للوجود بأكمله وأنه وجود عذاب هي نظرة كاذبة؛ فالوجود فيه خير كثير وفيه نعم لا تُحصى.

فالموكشا هي خلاص من شيء غير موجود في الحقيقة!

١٠- ما هي صورة المجتمع الهندوسي؟

المجتمع الهندوسي مجتمع طبقي.

وهو يعد أحد الإشكالات الأخلاقية في التعامل والسلوك لدى الهندوسية.

وتُحدد الريج فيدا –أحد الكتب الهندوسية- أربع طبقات من البشر وهم:

١- البراهمن: المعلمون والكهنة.

٢- الكشاتريا: المحاربون والملوك.

٣- الفيشية: المزارعون والتجار.

٤- الشودرا: العمال.

وأقل الطبقات وهم المنبوذون الشودرا يتعاطون أعمالاً مدنسة –من وجهة نظرهم- مثل النظافة والخدم.

وطبقة كل إنسان تحدد نوع عمله ولباسه وطعامه.

والزواج يتم في إطار الطبقة الواحدة.

فالمرء محكوم بالانتماء أبديًا إلى الطبقة التي ولد فيها.

وهذا التصور نابع من الإيمان بعقيدة الكارما –العقاب والجزاء-، فهم يتخيلون أن الشودرا يستحق أن يكون من المنبوذين، لأنه حتمًا في ولادات سابقة كان صاحب آثام، فوُلد في هذه الطبقة.

وثمة قوانين تمنع الطبقات المختلفة من الاختلاط –قوانين منو-.

لكن بعد دخول الحداثة إلى الهند تم التغاضي عن النظام الطبقي الديني، وفي مرحلة لاحقة تم سن التشريعات التي تلغي تصنيف الشودرا –في العام ١٩٥٠م طبقًا للفصل الخامس عشر من الدستور الهندي الحالي تم إلغاء تصنيف المنبوذين الشودرا-.

لكن ما زالت الطبقية موجودة إلى اليوم في القرى وفي كتب الهندوسية[١].

والطبقية تقوم على التمايز بين البشر على أساس الأنساب والأصول، ولذا اهتزت الهندوسية بشدة بقدوم الإسلام إلى الهند، فقد قدّم الإسلام فكرة التمايز بين البشر بحسب التقوى لا اللون ولا النسب.

فقد قال رسول الله- ﷺ -: «**يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى**»[٢].

---

(١) الفكر الهندوسي التقليدي: مقدمة، أرفيند شارما، ص١٣٢-١٨٠.

وقد أجرت البي بي سي تحقيقًا مفيدًا في هذا الملف على هذا الرابط:

http://www.bbc.com/news/world-asia-india-٣٥٦٥٠٦١٦

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان والحديث صحيح، السلسلة الصحيحة حديث رقم٢٧٠٠.

وقال ﷺ: «**ابغوني الضُّعَفاءَ، فإنما تُرزقون و تُنصَرون بضُعفائِكم**»[١].

١١- ما العيب الآخر في النظام الطبقي؟

يقول الهندوس: هذا الشخص له كارما صالحة لذا فهو مولود في بيئة ملوك ومحاربين.

أما فلان الآخر فله كارما فاسدة لذا هو مولود في بيئة المنبوذين والعمال.

هذا التصور هو أصل من أصول الديانة الهندوسية!

فالهندوسية ترى أن الجزاء والعقاب "الكارما" حقائق توجد حولنا.

فالمنبوذ يستحق أن يكون كذلك لأنه افترى وظلم وأفسد في ولادات سابقة.

هكذا ينظر الهندوس إلى العالم من حولهم.

وهذا التصور المغلوط المشوش الذي يُفسد الحياة بأكملها لا يقدم أية خدمة للإنسانية بل هو يفسدها، ولو ساعد الهندوسي المنبوذين فهو بذلك لا يحترم الكارما.

إن هذا نوع من مصالحة التخلف والظلم.

فالشر عندهم عقاب وبالتالي هم يصالحون الظلم الذي يُبتلى به الإنسان.

وهذا هو السر الذي جعل الإسلام ينتشر بسهولة في الهند.

فالإسلام حركي ديناميكي يسعى لمصالحة الفطرة ومخاصمة الظلم والتخلف.

ويسعى للارتقاء بالنفس المسلمة وتجاهل الأنساب والأحساب وتجاهل فكرة المنبوذين وفكرة الطبقات، فهذه مخلفات جاهلية في المنظور الإسلامي.

قال رسول الله ﷺ : «**مَن أبطأ به عمله، لم يسرع به نسبه**»[٢].

وقال ﷺ : «**لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم**»[٣].

فالأنساب لا قيمة لها ولا وزن!

---

(١) سنن أبي داود والترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع وصحيح أبي داود ٢٥٩٤

(٢) رواه ابن ماجة والترمذي وأبو داوددن وصححه الألباني صحيح الجامع حديث رقم ٥٧١٥.

(٣) حسنه الوادعي في الصحيح المسند ١٤٢٦.

۞١٢- هل بالفعل الهندوس يقدسون الأبقار؟

✍ انتشر تقديس الأبقار في ديانات الأرض المختلفة مثل الهندوسية والجينية والزرادشتية، وهذا لفائدة الأبقار في حلب اللبن، واستخدام روثها كسماد للأرض، وقيامها بحراثة الحقول.

لكن التصور الهندوسي أبعد من ذلك، فالتصور الهندوسي يرتبط بأن الإله يحل في مخلوقاته بما فيهم البقرة، وكرشنا[(١)]. ذاته كان يميل للأبقار.

والبقرة رمز مقدس بالفعل من رموز الهندوسية[(٢)].

وتُقام احتفالات خاصة للأبقار في أنحاء مختلفة من الهند[(٣)].

لكن النظرة العاقلة تجعلنا نقطع بأن الأبقار والأشياء المادية مُسخرة لنفع البشر ولتسير دورة الحياة الطبيعية بها، وليس لها قيمة تجسد إلهي داخلها -تعالى الله عما يقولون-.

قال الله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية:١٣].

۞١٣- كيف يصل الهندوسي إلى الموكشا؟

✍ من خلال التنسك والزهد.

۞١٤- ما المشكلة في التنسك الهندوسي؟

✍ الخروج من الذنوب في الفكر الهندوسي بالانقطاع عن الدنيا ونسيان الأهل والأولاد، والتأمل التام إلى أن يأتي الموت هو إحراق للنفس والمجتمع والبيت.

---

(١) كرشنا: أحد التجسدات الإلهية في أحد الأشخاص-تعالى الله عمال يقولون-.

(٢) الريج فيدا ٣-٣٣-١.

(٣) أسطورة البقرة المقدسة، دويجندرا نارايان.

والتخلص من المعصية في الإسلام يكون بالتوبة والإنابة ورد المظالم، وليس بتأمل وسكون كسكون الموتى وهجران كل شيء، وولادة ثانية وثالثة ورابعة كما يقولون —حيث أن السادهو وصل للولادة الرابعة بهجران الدنيا والعيش في الخربات–![١].

١٥– ما العيب في الانقطاع في الخربات؟

الهندوسية تحارب الغريزة ليس من باب تهذيبها كما شرائع الأنبياء ولكن من باب إحراق الجسد، فالهندوسية تجر الإِنسان جرًا إلى الرهبانية وترك الدنيا، فالغريزة في الهندوسية مفسدة يجب نسيانها بنسيان الجسد.

فإذا قضى الإنسان على ما يحتاجه جسده نجى من التناسخ.

وهذا خلل كارثي يُدمر المجتمع والأسرة والإنسان!

فالغريزة منحة إلهية لتكوين أسرة وتأسيس مجتمع وللسعي والكد وبناء حياة.

فالغريزة تُهذَب وتوضع في مجاريها الطبيعية، لكن لا تُحرَق!

فمَن قال أن غاية وجودنا تكمن في أن نتسول وجبة طعام ونذهب إلى الخربات لنقضي أعمارنا فيها كما يقوم السادهو "نساك الهندوس"؟

مَن قال أننا جئنا إلى هذا العالم من أجل أن نرتدي قطعة قماش زعفرانية ونحرق أجسادنا إلى أن يأتي الموت؟

إن أدنى الحشرات أوعى منّا لمهمة الوجود وعمارة الأرض وإصلاح الحياة من الهندوس، فتجد أسراب النحل تعمل في جهد ونظام لخيرها وخير أولادها، وتجد الباكتريا الدقيقة تنتظم في الأمعاء لتُفيد وتستفيد وتسير الحياة بنواميس لا يُفسدها إلا تالف العقل والنفس!

إن الهندوسية دين البطالة والتقاعس والجهل بمعنى الوجود وغاية الوجود ومصدر الوجود ومقتضى الوجود!

---

(١) http://www.uwyo.edu/religionet/er/hinduism/hslife.htm

١٦- ما هي الطريقة الأصلح لمقاومة الشهوة والتخلص من الذنوب؟

أصل مقاومة الشهوة والغريزة هو أصل جيد لكن حين يوضع في نصابه!

وحين تُضبط الغريزة لا تُحرق!

وقضية البعد عن المعاصي هي من فطرة الله التي فطر الناس عليها، فالبعد عن المعصية ومحاولة عمل الصالحات هذه هبات من الله داخل النفس الإنسانية، فالنفس تميل لحب الصالح من العمل، إنها منحة إلهية وليست منّة يُمتن بها!

لكن أن يتحول التأمل والتقشف إلى دين شحاذين وتسول وترك العمل والزوجة والأولاد فهذا ليس من شيم العقلاء ولا غاية وجود ولا عدل مع موجود، وليس فيه إلا تضييع حق من يعول، إن السادهو لا يكتفي بإثم تضييع من يعول بل هو نفسه يتحول إلى عائل فقير ينتظر مَن يطعمه ومن يؤويه كل يوم.

والإنسان يمكنه أن يعيش في مجتمعه وأن يبنيه وفي نفس الوقت يقاوم الشهوة والمعصية ويضبط الغريزة، والقرآن الكريم يعالج هذا الأمر بمثالية تصلح للتطبيق قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

فالخوف من الجليل والعمل بالتنزيل هو مظنة النجاة!

وعقبة النفس يمكن تجاوزها بسهولة دون هذا السادهو الهندوسي الحارق والتقشف الخانق، فمجرد العمل الصالح ومخالطة الناس والصبر على أذاهم وإعانتهم في الخير هو اقتحام لعقبة أسر الشهوات، قال الله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾ [البلد: ١١-١٨].

فحضور الهرب من النفس وشهواتها حضور قوي في القرآن الكريم، لكنه حضور يصلح لبناء مجتمع وتأسيس أسرة من دون تفويت حق.

فالحمد لله على نعمة الإسلام!

۞١٧- لماذا تصفون الهندوسية بأنها ركام من المخلفات الفلسفية؟

✍ فلسفة السادهو –الناسك الهندوسي- لبلوغ الاستنارة، والتوالد عبر أربع ولادات، هذه اللغة الفلسفية تؤكد أن الهندوسية في كثير من مناحيها كتبها فلاسفة لا أنبياء!

فعوام البشر لا يُصلحهم هذا التعقيد الفلسفي ولا يفهمون منه شيئًا ولا يعنيهم في شيء!

۞١٨- ما العيب في رهبنة السادهو –الناسك الهندوسي-؟

✍ من أصول الهندوسية أن الناسك يمر بأربع ولادات إلى أن يصل إلى مرحلة السادهو.

والسادهو حتى يتخلص من الولادات المتكررة وحتى يصل للموكشا لا يعمل ولا يجتهد في شيء ولا يجمع شيئًا ولا يؤسس بيتًا ولا يزرع ولا يصنع، ولا يأكل إلا طعامًا يتسوله من الناس.

ويتسول في آخر يومه مكانًا ينام فيه!

هل هذه غاية وجودية؟

هل هذا معنى وجودي؟

أين حقوق الناس والأهل والأولاد؟

أين مخالطة الناس والصبر على أذاهم والنصح لهم؟

إن هذه الرهبنة أضاعت حقوق الناس وحقوق المجتمع، وحقوق الهندوسي نفسه باعتباره إنسانًا له متطلبات مثل الطعام والزواج وما أحل الله ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٢].

والسؤال هنا: ما معنى أن يعتزل الهندوسي الناس، وأن يتوطن في رؤوس الجبال والمواضع البعيدة عن العمران، ما هي الفائدة التي ستعود على الناس من ذلك؟

إن الدين الحق دين جد ونصيحة ومخالطة للناس وإصلاحٌ لهم، وليس تفلتًا منهم في الوديان والصحاري!

فالذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خيرٌ من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم[١].

إن الذي يُشدِّد على نفسه ويحرم بدنه الطيبات من الرزق هو بذلك يضيع حقوق الناس بعد أن يكون قد أضاع حق نفسه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**لا تشددوا على أنفسكم فيشدِّد اللهُ عليكم؛ فإن قومًا شددوا على أنفسهم، فشدَّد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديار،** ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾ [الحديد:٢٧]»[٢].

فالرهبنة توقع في الشدة، وتضييع بعض ما وَجَب؛ وهذا ما وقع في النموذج الهندوسي بتمامه فهلكوا وأضاعوا وضيعوا حقوقهم وحقوق الناس.

١٩- ما مشكلة التدبر والتأمل في الهندوسية؟

التأمل الذي تقرره الهندوسية ويطبقه السادهو يوجد مثله وأفضل منه في الشرائع السماوية وربما يكون أصل هذا التأمل في الهندوسية من بقايا النبوات والله أعلم.

فالشرائع السماوية دعت إلى التفكر والتدبر والتأمل لكنه تفكر وتدبر وتأمل يؤدي إلى عمل وطاعة وشكر واجتهاد وليس إلى سكون الموتى والهجران إلى الخربات ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾ [الروم:٨].

---

(١) صحيح سنن ابن ماجة حديث رقم ٣٢٧٣

(٢) رواه أبو داود.

فالتفكر الحق هو الذي يؤدي إلى الطاعة والإنابة لله ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران:١٩١].

وكل ما في خلق الله يدعو إلى التفكر والتأمل في نعمه ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية:١٣].

والآيات في الحث على التدبر والتفكر كثيرة

﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس:١٠١].

﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الجاثية:٥].

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:١٦٤].

فما يتذكر وما يتفكر وما يتدبر في كل ذلك إلا أولو الألباب{﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:٧].

فالتفكر والتدبر عبادة.

وكان من كلام السلف: تَفَكُّرُ ساعةٍ خيرٌ من عبادةِ سنةٍ(١).

لأن التفكر مظنة الطاعة والقرب من الله وتدّبر آلائه وحكمه والرضا بقضائه وقدره والاستعانة به وحده على نوائب الدهر.

فالتفكر عبادة إسلامية.

---

(١) اللؤلؤ المرصوع للقاوقجي، ص٦٦.

والتفكر في مخلوقات الله وتدبر آلائه، وتأمل طرائق خلقه أحد العبادات لكنه أيضًا ليس العبادة الوحيدة كما يتخيل الهندوس في مرحلة السادهو.

٢٠- ما مشكلة الوثنية ولماذا حاربها الأنبياء؟

كل المصلحين والأنبياء والدعاة الصادقين ما حاربوا شيئًا أشد من وثنيات أقوامهم؛ تلك الوثنيات التي تُسهل لهم المعصية.

ويتحول معبد الوثنيات إلى مركز للفجور وارتكاب للفواحش ومحراب للطغيان كما تخبرنا دراسات ديانات الأقدمين، وكما تخبرنا الهندوسية ذاتها اليوم- حيث تحولت طقوس المانترا إلى طقوس جنسية-[(١)].

فالوثن يُتخذ سترًا ووِجاءًا للهرب من التكاليف الشرعية التي يأمر بها الله، ويحاول الوثني أن يتستر ويحتج بهذا الوثن في معاصيه وكفرياته.

ثم يقوم الوثني بإشراك هذا الوثن مع الله في الخلق والأمر، ثم يجعل من ذلك الوثن دينًا بل ويتقرب بوثنه هذا إلى الله وهذا فيه كفر وكذب وجحود أيما جحود بمعنى الرسالة وبمطلب التكليف وبغاية الوجود!

ولذا فقد وصف الله عز وجل هؤلاء الوثنيون بأنهم كاذبون كفار ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر:٣].

فحين يريد الوثني المعصية فإنه يتقرب بقرابينه للوثن﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ [النحل:٥٦].

ويجعل لله نصيبًا ولوثنه نصيبًا ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا

(١) موقع حقائق الهندوسية الرسمي

http://hinduismfacts.org

يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الأنعام:١٣٦].

وأمثال هؤلاء يعلمون قطعًا أنهم لا يملكون برهانًا على إشراكهم لأوثانهم مع الله ﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [النمل:٦٤].

وأنى لهم البرهان!

وأنى لهم البرهان!

ومشكلة الهندوسية أنها تُضخم الوثنية وتجعلها ركنًا من أركان الدين.

فالأوثان في كل مكان.

ويتجسد الإله في الوثن.

ولكل إله وثن وصورة وأيقونة.

فالهندوسية ديانة الأوثان والمسبوكات البشرية والأيقونات.

٢١- ما هي العيوب الأخرى في العقيدة الهندوسية؟

نشأت الهندوسية على إرث فلسفات ومعتقدات وتصورات تشكلت عبر قرون من الزمن منذ قرابة ١٥٠٠ عام قبل الميلاد وحتى عام ٥٠٠ ميلادية، فالهندوسية بخلاف بقية الديانات، ليست دينًا موحدًا، وإنما هي شتات الأفكار وفلسفات[١].

فالهندوسية ليست دينًا ولا مذهبًا ولا توجهًا اعتقاديًا، وإنما هي خليط فلسفات وأديان ولذا هي تخلو من نظام لاهوتي تعبدي واحد، أو منظومة طقوسية محددة الملامح، أو منهج ديني ثابت!

فكيف يُتعبد بشيء ما أنزل الله به من سلطان، وكيف يُتخذ هذا الخليط غاية في الحياة.

٢٢- كيف ينظر الهندوس إلى الكون؟

---

(١) الهندوسية، ألف هليبيتال، ص١٢.

✍ طبقًا للفلسفة الهندوسية فإن الكون في حالة انحلال ثم يعاود الظهور بطريقة أزلية أبدية.

أو ما يُعرف بالكون الدوري.

حيث يحدث انكماش للكون ثم انفجار، وهكذا إلى ما لانهاية.

أو بمعنى أقرب للمعنى الهندوسي تشكل للكون ثم انحلال ثم إعادة تشكل!

كما يقول الكتاب المقدس الهندوسي بهاجاغيتا بورانا الفصل الثالث[(١)].

وهذا خطأ علمي مخالف للقانون الثاني للديناميكا الحرارية والذي يتطلب إعادة ضبط الأنتروبيا –الشواش الذي يبدأ به الكون – في كل كون متكون جديد، وإلا فإن درجة الأنتروبيا تزداد مع كل كون وبالتالي تصير درجة الحرارة لا نهائية طالما كان الإنكماش والإنفجار لا نهائيين، لكن معطياتنا العلمية تقول أن درجة حرارة الكون هي الآن ٥ ,٣درجة مطلقة، إذن تبقى مسألة نشأة كوننا مفطورًا مبدعًا –على غير مثال سابق– دالة على حدوث وابتداء الكون وسقوط فرضية الإنكماشات السابقة[(٢)].

فسبحان بديع السماوات والأرض –خالقهما على غير مثال سبق– ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة:١١٧].

فقد أثبت العلم حديثًا أنه كان يوجد الحد الأدنى من الأنتروبيا لحظة نشأة الكون وهو ما يؤكد أن الكون لم يسبقه انكماشات ولا يوجد ما يُعرف بالكون الدوري، وأن الكون فعليًا ظهر على غير مثال سبق، كما أخبر رجل يرعى الغنم على قراريط لأهل مكة منذ ١٤٠٠ عامًا.

٢٣– ما هي أدلة كفر الهندوسية؟

✍ الهندوسية عقيدة كفر[(٣)]. وإشراك بالله ووثنية وعبادة أصنام.

---

(١)vedabase.net/sb/١٢ /٣/en١

(٢) ليس خاطئًا بالكلية، بي. ووِيت.

(٣) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، فتوى رقم:٩٣٥٥.

فهي ديانة مترعة بالشركيات.

ديانة تقول بتجسد الإله في البشر «الأفاتار».

وتجسد الإله في الأصنام والأوثان «شاكتي».

وتجسد الإله في الأبقار والأحجار «تقديس البقر».

وتجسد الإله وحلوله في كل شيء «وحدة الوجود»[(١)].

فهي من أكفر الديانات على الأرض ومن أكثرها شركية ووثنية[(٢)].

والعجيب أنها باتفاق أصحابها ليس لها ملامح محددة وإنما هي جهود أشخاص عبر مئات السنين.

حيث تمتد الهندوسية لتشمل طيف لا ينتهي من الممارسات والطقوس المتباينة.

يقول العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله: «كل ما يدين به الناس ويتعبدون به يُسمى ديناً، وإن كان باطلاً كالبوذية والوثنية واليهودية والهندوسية والنصرانية وغيرها من الأديان الباطلة».

قال الله سبحانه في سورة الكافرون ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون:٦].

فسمَّى ما عليه عُبّاد الأوثان ديناً، والدين الحق هو الإسلام وحده، كما قال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

---

(١) آلهة في الأسواق، رؤوف شلبي، ص ١٠٥-١٠٨، دراسات في المسيحية واليهودية وأديان الهند، الأعظمي، ص ٥٩٨، أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي، ص ٤٥ فما بعدها، معتقدات آسيوية، د. كامل سعفان، ص ١٥٧ فما بعدها، موجز تاريخ الأديان، ص ٧٠ فما بعدها، مشكلة التأليه في فكر الهند الديني، عبد الراضي عبد المحسن ص ٢٨- فما بعدها.

(٢) أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي، ص:٦١-٦٣

وقال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣].

الإسلام هو عبادة الله وحده دون كل ما سواه، وطاعة أوامره وترك نواهيه والوقوف عند حدوده، والإيـمان بكل ما أخبر الله به ورسوله مما كان وما يكون، وليس شيء من الأديان الباطلة مُنـزّلاً من عند الله ولا مرضياً له، بل كلها مُحدَثة غير منـزلة من عند الله.

والإسلام هو دين الرسل جميعاً، وإنما اختلفت شرائعه؛ لقوله تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المائدة:٤٨][١].

وليس بين أيدينا اليوم من الهندوسية إلا وثنيات وطامات شركية، وجاهلية طبقية، وعبادة أبقار وتماثيل منحوتة يحل فيها الإله على زعمهم –تعالى الله عما يقولون–[٢].

قال الله سبحانه: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات:١٨٠].

تنزه عما يصفه به المشركون، وعما يفتريه عليه الوثنيون.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الصافات:١٨١].

سلام على المرسلين الذين يُعرفون الناس بربهم، وينزهونه عن كل نقيصة.

سلام على المرسلين الذي يُعرفون البشر بخالقهم بعيدًا عن كفريات الوثنيين.

فالمرسلون نزّهوا الخالق وقدّسوه وأمروا بالتوحيد والتصديق بالرسل، والحث على الصالحات الباقيات[٣].

---

(١) فتاوى إسلامية، جمع محمد المسند، ج١ ص٣٦.

(٢) دراسات في المسيحية واليهودية وأديان الهند، عبد الرحمن الأعظمي، ص ٦٠٠، أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي، ص ٢٨ فما بعدها، الإسلام والأديان، د. مصطفى حلمي، ص ٧٨، عالم الأديان بين الأسطورة والخيال، فوزي محمد حميد، ص ١٧٨، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، العميد عبد الرزاق محمد أسود، الدار العربية للموسوعات، ص ٦٠.

(٣) رسالة خاتم النبيين محمد ﷺ، د. ثامر بن ناصر، مكتبة الرشد.

وهذا منهج النبوات.

منهج رسالات وشرائع الإسلام!

بينما على النقيض تأتي الهندوسية الكفرية لتشد أركان الوثنية وتعتق خمر الكفريات على أصوات نواقيس ملاحم خرافات البورانانس –أحد كتب الهندوس-.

فأي عقلٍ هذا الذي يسوى توحيد الأنبياء بتناقضات وشركيات الأفاتارات والرامات.

فأنت في الهندوسية تجد:

أ- خليط ديانات وفلسفات.

ب- التوحيد النقي والتثليث المشوش والوثنية الهابطة.

ج- تعدد الصفات الإلهية دفع فلاسفة الهندوسية إلى تعديد الذات الإلهية فجعلوا لكل صفة ذاتًا فضَلوا وأضلوا.

د- مخالفات للحقائق العلمية!

هـ- غاية الوجود التسول والعيش في الخرِبات إلى أن يأتي الموت.

و- التقشف والبعد عن الرذائل إلى حد الاحتراق.

ز- فلسفات انتهت نظريًا مثل وحدة الوجود وأزلية مادة العالم.

ح- النظام الطبقي بناءً على الأنساب وهو نظام فاسد ظالم لا يرتقي لمعاملة الإنسان كإنسان.

ط- نظام طبقي يكرس الظلم ويبقيه.

ي- الكارما التي هي منهج منحرف يؤدي إلى القبول بالفساد والمفسدين والظالمين والمظلومين، فهي لا تدفع نحو تعديل المجتمع للأفضل!

فالحمد لله على نعمة الإسلام.

الفصل الرابع

كيف تدعو
كتابياً إلى الإسلام؟

۞١- مَن هو الكتابي؟

✍ الكتابي اصطلاحًا هو: اليهودي والنصراني، وسُموا بذلك لأنهم أصحاب كتب سماوية: التوراة والإنجيل.

۞٢- هل يوجد كتابيون غيرهم؟

✍ نعم

فكل مَن كانت عنده بقايا نبوات فهو أشبه بأهل الكتاب.

لذا روي عن النبي ﷺ أنه قال في المجوس: «**سنوا بهم سنة أهل الكتاب**».

لأن عندهم شبهة كتاب.

۞٣- كيف ندعو الكتابي إلى الإسلام؟

✍ الكتابي يؤمن بوجود الله ويؤمن بأن الله يرسل رسلاً.

والكتابي يؤمن ببعض الأنبياء.

علينا أن نخبره بهذه الحقائق عن نفسه ثم نقرر له أن: نبوة النبي محمد –ﷺ– لم تكن بدعًا من النبوات قبله ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف:٩].

فنبوة محمد ﷺ جائت بترسيخ التوحيد واستمرار الشريعة وحفظ المصادر، واستقرار موازين الفضيلة وظهور الدين.

بل كان لنبينا محمد –ﷺ– من كل هذا الحظ الأوفر والجناب الأسمى والمقام الأرفع!

فلن يجد الملحدة لأحدٍ مثل الذي لمحمدٍ ﷺ في الأعجوبة والرفعة.

وشريعته ﷺ لم يعترها ما اعترى سائر الشرائع بل هي في كل عصرٍ غضة طرية، ومنذ موته ﷺ وحتى الآن لم تلزم الحاجة لمبعث رسولٍ آخر فالأحكام تُقرأ ليل نهار كأنها للتو خرجت من فم رسول الله ﷺ.

فمَن يُقر بجنس الأنبياء لا يبقى عنده أدنى شك في نبوة محمدٍ ﷺ.

والذي يُكذب بنبوة محمدٍ ﷺ هو بالأحرى يكذب بنبوة كل نبيٍ أخر. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الذي يُكذب بنبوة محمد ﷺ يُكذب بالطريق الذي عرفنا من خلاله صدق الأنبياء وصحة نبوتهم».

فإن الطريق الذي يعلم به نبوة موسى وعيسى يُعلم به نبوة محمد بطريق الأولى، فإذا قالوا علمت نبوة موسى والمسيح بالمعجزات وعرفت المعجزات بالنقل المتواتر إلينا، قيل لهم معجزات محمد ﷺ أعظم وتواترها أبلغ والكتاب الذي جاء به محمد ﷺ أكمل، وأمته أفضل وشرائع دينه أحسن. وموسى جاء بالعدل وعيسى جاء بتكميلها بالفضل وهو ﷺ قد جمع في شريعته بين العدل والفضل.

فإن ساغ لقائل أن يقول هو مع هذا كاذب مفتر كان على هذا التقدير الباطل غيره أولى أن يقال فيه ذلك فيبطل بتكذيبهم محمدًا جميع ما معهم من النبوات، إذ حكم أحد الشيئين حكم مثله فكيف بما هو أولى منه.

فلو قال قائل إن هارون ويوشع وداوود وسليمان كانوا أنبياء وموسى لم يكن نبيًا أو أن داوود وسليمان ويوشع كانوا أنبياء والمسيح لم يكن نبيًا، أو قال ما تقوله السامرة أن يوشع كان نبيًا ومن بعده كداوود وسليمان والمسيح لم يكونوا أنبياء، أو قال ما يقوله اليهود إن داوود وسليمان وأشعيا وحبقوق وميخا وعاموص ودانيال كانوا أنبياء والمسيح بن مريم لم يكن نبيًا، كان هذا قولاً متناقضًا معلوم البطلان. فإن الذين نفى هؤلاء عنهم النبوة أحق بالنبوة وأكمل نبوةً ممن أثبتوها له، ودلائل نبوة الأكمل أفضل فكيف يجوز إثبات النبوة للنبي المفضول دون الفاضل، وصار هذا كما لو قال قائل أن زفر وابن القاسم والمزني والأثرم كانوا فقهاء وأبا حنيفة ومالكًا والشافعي وأحمد لم يكونوا فقهاء، أو قال إن الأخفش وابن الأنباري والمبرد كانوا نحاة والخليل وسيبويه والفراء لم يكونوا نحاة، أو قال إن صاحب الملكي والمسيحي ونحوهما من كتب الطب كانوا أطباء وبقراط وجالينوس ونحوهما لم

يكونوا أطباء، أو قال إن كوشيار والخرقي ونحوهما كانوا يعرفون علم الهيئة وبطليموس ونحوه لم يكن لهم علمٌ بالهيئة.

ومن قال إن داوود وسليمان وميخا وعاموص ودانيال كانوا أنبياء، ومحمد بن عبدالله لم يكن نبيًا فتناقضه أظهر وفساد قوله أبين من هذا جميعه، بل وكذلك من قال إن موسى وعيسى رسولان والتوراة والإنجيل كتابان منزلان من عند الله ومحمد ليس برسول والقرآن لم ينزل من الله فبطلان قوله في غاية الظهور والبيان لمن تدّبر ما جاء به محمد وما جاء به من قبله، وتدّبر كتابه والكتب التي قبله وآيات نبوته وآيات نبوة هؤلاء، وشرائع دينه وشرائع دين هؤلاء، وهذه الجملة مفصّلة مشروحة في غير هذا الموضع لكن المقصود هنا التنبيه على مجامع جوابهم، وهؤلاء القوم لم يأتوا بدليلٍ واحدٍ يدل على صدق من احتجوا به من الأنبياء، فلو ناظرهم من يكذب بهؤلاء الأنبياء كلهم من المشركين والملاحدة لم يكن فيما ذكروه حجة لهم، ولا حجة لهم أيضًا على المسلمين الذين يقرون بنبوة هؤلاء، فإن جمهور المسلمين إنما عرفوا صدق هؤلاء الأنبياء بإخبار محمد أنهم أنبياء فيمتنع أن يصدقوا بالفرع مع القدح في الأصل الذي به علموا صدقهم.

وأيضًا فالطريق الذي به علمت نبوة هؤلاء بما ثبت من معجزاتهم وأخبارهم فكذلك تعلم نبوة محمد بما ثبت من معجزاته وأخباره بطريق الأولى، فيمتنع أن يصدق أحد من المسلمين بنبوة واحدٍ من هؤلاء مع تكذيبه لمحمد في كلمةٍ مما جاء به».

ويقول في موضعٍ آخر: «فما من جنسٍ من الأدلة يدل على نبوة موسى والمسيح إلا ودلالته على نبوة محمد ﷺ أقوى وأكثر، فيلزم من ثبوت نبوة موسى والمسيح ثبوت نبوة محمد ﷺ، ومن الطعن في نبوة محمد ﷺ الطعن في نبوة موسى والمسيح».

فلا يمكن التصديق بنبوة نبيٍ من الأنبياء مع التكذيب بمحمدٍ ﷺ.

والطريق الذي بها تثبت نبوة الأنبياء بمثلها وبأعظم منها بكثير تثبت نبوة محمدٍ ﷺ.

بل إن التصديق بنبوته أولى من التصديق بنبوة غيره، وكل دليلٍ يُستدل به على نبوة نبيٍ، فمحمد ﷺ حاز منتهى جنس ذلك الدليل.

وما ترتب على بعثته ﷺ من تحقيق التوحيد ووضع شرائع العدل وغيرها من مقاصد الرسل أعظم من غيره وأجل وأكثر.

وبذلك يجب القطع بأن رسالته أتم وأعظم.

فلم يأت ﷺ بنسقٍ خارجٍ على نسق الأنبياء قبله ﴿ بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ [الصافات:٣٧].

۞ ٤- كيف أنتقد النصرانية بسؤال مباشر؟

✍ يمكننا أن نسأل النصراني هذا السؤال:

أيها النصراني! إذا كنت الآن واقفًا أمام المسيح وهو على الصليب، فهل ستتركه يموت أم ستنقذه؟

إذا قال النصراني حتمًا سأنقذه، فهو بهذا يُبطل العمل الكفاري للمسيح على الصليب ويكون سببًا في هلاك الجنس البشري.

لأن النصرانية تتخيل طبقًا لفلسفة بولس أن المسيح جاء ليموت على الصليب فداءً لخطايا البشر.

وإيقاف العمل الكفاري جريمة في حق الجنس البشري –طبقًا للعقيدة النصرانية-.

وإذا قال النصراني سأتركه يموت فهذا يعني بمنتهى البساطة أن النصارى قتلة الأنبياء وقتلة الآلهة بمعنى أدق، وهنا لا فرق بين النصراني الذي يترك المسيح على الصليب حتى الموت وبين اليهود الذين عرفوا أنه هو المسيح وحاولوا قتله.

هذه معضلة كبرى؛ تبين إلى أي حد يصل الكفر بأهله.

۞ ٥- ما مشكلة عقيدة الفداء والصلب التي يؤمن بها النصارى؟

عقيدة الفداء والصلب هذه تخالف عقيدة جميع أنبياء العهد القديم، فلم يكن نبي من الأنبياء يؤمن أنه لابد من الخلاص بموت يسوع على الصليب!

بل إن هذه العقيدة تخالف عقيدة المسيح ذاته التي يخبر بها الكتاب المقدس.

فالمسيح لم يأت كذبيحة وإنما جاء رحمة.

والمسيح جاء لا ليدعو الأبرار بالعمل الكفاري على الصليب، وإنما جاء ليدعو الخطاة إلى التوبة ككل الأنبياء قبله.

يقول المسيح عليه السلام: «إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَاراً بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ»[1].

إن مشكلة منظومة الفداء والصلب الحقيقية أنها تضيع المسئولية الفردية لكل إنسان عن جرائمه، وتقتل قيمة العمل الصالح، وتؤدي إلى عدم المبالاة بالذنوب.

فأنت كل ما عليك مجرد الإيمان بالعمل الكفاري ليسوع على الصليب! هكذا يُبشرون.

ولا ندري ما علاقة صلب زيد بتكفير ذنب عمرو.

في أية منظومة عقلية تصح هذه المعادلة؟

إن المنظومة العقلية تقتضي الإيمان بما آمن به الرسل، وترك كل هذه الفروض الوثنية التي تخالف روح المعتقد الديني لأنبياء العهد القديم.

٦- ما هي مشكلة التثليث الفلسفية؟

الثالوث عقيدة شرك، يشترك فيها عدة أشخاص في الألوهية[2].

---

(١) إنجيل متى الأصحاح ٩ العدد ١٣.

(٢) بعض الاقتباسات في هذه الفقرة من موقع المرصد الإسلامي:

http://tanseerel.com/main/

فعندما تقول النصرانية أن هناك ثلاثة أشخاص يتكلمون مع بعضهم البعض و يحبون بعضهم، ويجلسون بجوار بعضهم البعض يكون النصارى هنا قد سلبوا من مفهوم اللـه أحد أهم مميزات وحدانيته!

وهذا يختلف كل الاختلاف عن عقائد التوحيد التي نادى بها أنبياء العهد القديم. فجميع أنبياء العهد القديم بلا استثناء باتفاق النصارى واليهود والمسلمين لا يعرفون تثليثًا ولا أقانيم ولا موت آلهة إرضاءً لآلهةٍ أخرى –موت يسوع على الصليب لإرضاء الآب-.

يقول ميخائيل جولدر المحاضر في اللاهوت بجامعة برمنجهام في كتابه أسطورة التجسد الالهي: «يسوع نفسه لم يكن يظن أنه الأقنوم الثاني في ثلاثية الأقانيم»[١].

وفي دائرة المعارف البريطانية: «كان المسيحيون الأوائل ضد التثليث، فالتثليث كان يبدو لهم ضد التوحيد الإلهي الذي تُعلمه الكتب المقدسة»[٢].

أيضًا وفي نفس المصدر تقرر دائرة المعارف البريطانية أن: «لفظ الثالوث وعقيدة الثالوث الصريحة، لم يردا فى العهد الجديد كذا ما قصد المسيح ولا أتباعه أبداً أن ينقضوا وصية العهد القديم التي هي:إِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ»[٣].

ولذا يتسائل الأب الكاثوليكى وعالم اللاهوت الشهير هانز كونج Hans Kung: «لماذا لا يوجد مطلقاً أى حديث فى طول العهد الجديد وعرضه عن إله مثلث الإقانيم؟»

ويذكر قاموس الكتاب المقدس نقطة في غاية الأهمية وهي أنه: «مع الأخذ فى الاعتبار إلى أى حدٍ كان اليهود على وعيٍ بعقيدتهم التوحيدية، فبحسب الدليل المستمد من العهد

---

(١) أسطورة التجسد الالهي ص١٠٧.

(٢) دائرة المعارف البريطانية الجزء الثالث ص ٦٣٤.

(٣) سفر التثنية الأصحاح ٦ العدد ٤.

الجديد فالمناوءة اليهودية لم توجه تهمة الإيمان بثلاثة آلهة أو الشرك للمسيحيين الأوائل، وهو نقد شائع وُجِّه فيما بعد من قِبَل اليهود»[١].

وهنا يعلق هانز كونج على ذلك بالقول: «إذا ما أردنا أن نحكم على المسيحيين فى الحقبة التى سبقت مجمع نيقية فى ضوء مجمع نيقية فليس فقط اليهود المتنصرون سيدانون بتهمة الهرطقة بل تقريباً جميع آباء الكنيسة اليونانيين».

وقد كان المتفق عليه بوجهٍ عام أن آباء الكنيسة المتقدمين على مجمع نيقية كانوا يقولون بالتفاوت فى المنزلة بين الآب والإبن subordinationists وهذا ظاهر بوضوح فى كتابات اللاهوتيين الدفاعيين فى القرن الثانى، ولقد سار إيرينايوس على نفس الدرب، واستكمل هيبوليتس وترتيليانوس فى الغرب هذا المشروع اللاهوتى.

وتحت مادة Subordination-ism تقول دائرة معارف أوكسفور ص١٣١٩ ما يلي: «تطلق هذه التسمية على مَيْل، حاضر بقوة فى الكتابات اللاهوتية فى القرنين الثانى والثالث الميلادى، لاعتبار المسيح، كإبن لله، فى مرتبة أدنى من الآب وتقف خلف هذا الميل عبارات واردة بالعهد الجديد والتى يؤكد فيها المسيح نفسه على ذلك: «أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي»[٢]؛ وأيضاً: وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ الِابْنُ إِلاَّ الآبُ»[٣].

فالكتاب المقدس نفسه يحسم القضية ويؤكد أن الآب أعظم من الإبن ولا ندري كيف يجري الجدل بخصوص الأمر بعد ذلك!

ويظهر هذا الميل خاصة فى كتابات لاهوتيين من أمثال يوستينيوس، وترتيليانوس، وأوريجانوس ونوفاتيانوس بل حتى فى كتابات إيرينايوس Irenaeus.

---

(١) قاموس الكتاب المقدس في ص٣٣٧.

(٢) وردت في إنجيل يوحنا الأصحاح ١٤ العدد ٢٨.

(٣) وردت في إنجيل مرقس الأصحاح ١٣ العدد ٣٢.

وكلهم آباء الكنيسة الكبار على مر العصور!

يقول البروفيسور مارتن فرنر Martin Werner: «فى أى موضع من العهد الجديد عندما تكون العلاقة بين المسيح والآب محل اعتبار، فإنها تُصور وتمُثل على أنها علاقة بين الأدنى منزلةً والأعلى منزلةً، إن جميع اللاهوتيين العظام قبل مجمع نيقية يمثلون المذهب القائل بأن الإبن فى مرتبة أدنى من الآب».

ويضيف روبرت جرانت Robert M. Grant: «إن كريستولوجيا كتابات اللاهوتيين الدفاعيين، كما هو الحال بالنسبة لتلك الخاصة بالعهد الجديد، بصفة أساسية تقول بتفاوت المنزلة. فالإبن دائماً خاضع للآب الذى هو الإله الواحد الوارد ذكره فى العهد القديم، فما نجده إذن فى كتابات هؤلاء الكتاب القدامى ليست هى عقيدة الثالوث، فقبل مجمع نيقية كان الفكر اللاهوتى المسيحى على مستوى العالم فى الجملة يقول بتفاوت المنزلة».

إن المسيح عليه السلام كان يُعلّم التلاميذ أنه عبدٌ لله لا يعلم إلا ما علمّه الله. وفي آخر حياته عليه السلام حين سأله أحد الكتبة عن أعظم الوصايا قالها مدويةً: «إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ، وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى»[(١)].

أضف إلى ما سبق أن مشكلة التثليث مربكة للعقل محيرة للفطرة التوحيدية النقية.

ولذا حين ظهر الإسلام كانت المحنة النصرانية الكبرى، لأن الإسلام يعيد نهج التوحيد الذي عليه أنبياء العهد القديم.

ومن أجل ذلك خرجت التعديلات اللاهوتية على يد توما الاكويني فحاول الرجل تنسيق ديانته بما يتناسب مع التوحيد فقال ب"الثلاثة في الواحد والواحد في الثلاثة" وهذه المحاولة الانتحارية التي تخالف أبسط بديهيات العقل هي فقط محاولة لمواربة الصدع

(١) إنجيل مرقس إصحاح ١٢ عدد٣٠.

والتقرب من عقيدة التوحيد، فالتحسينات لم يكن منها مناص لإيقاف أفواج الداخلين في الدين الجديد.

يقول د. عبدالله بن سعيد الشهري –باحث في العلوم الإنسانية – في أحد منشوراته على حسابه الشخصي في الفيس بوك: «اطلعت على موقع نصراني انجليزي يستقبل سؤالات المستفتين فوجدت منها:

من ندعو الله أم عيسى أم روح القدس؟

وآخر: بأيهما نبدأ ؟

وآخر: هل يضر البدء بالله؟

شاهد عمليّ حي على عواقب الانحراف عن التوحيد».

قال الله تعالى ذامًا هذه الصور من التثليث الشركي ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر:٢٩].

فلا يستوي العبد لجماعة والعبد لواحد!

ولذا قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة:٧٣].

٧- ما هي الأدلة من الكتاب المقدس على نفي ألوهية المسيح عليه السلام؟

كان المسيح عليه السلام –بأبي وهو وأمي- أكثر الناس حرصًا على مصلحة أتباعه، وما تأخر لحظةً في بيان أصل عقيدته، وهذا باقٍ في الإنجيل الذي بين أيدينا إلى اليوم!

فما بين أيدينا هو من بقايا النبوات التي أخبر النبي محمد ﷺ في خطبته بشأنها: «**إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب**».

وكان المسيح عليه السلام قويًا في الحق، لا يخاف لومة لائم، وقد صنع يومًا سوطاً من حبال لإنكار منكرٍ رآه كما ورد في إنجيل يوحنا: «فصنع سوطا من حبال وطرد الجميع من الهيكل، الغنم والبقر، وكب دراهم الصيارف وقلب موائدهم»(١).

ومَن كان هذا شأنه فكيف نعتقد فيه بغير ما قاله؟

وكيف ننسب إليه عقيدة لم ينطق بها يومًا؟

فهل قال المسيح يومًا بألوهيته —في الإنجيل الذي بين أيدينا اليوم –حتى نجعل نحن منه إلهًا؟

ألم يكن صريحًا قويًا واضحًا في توحيده وعبادته لله؟

ألم يقل المسيح في الإنجيل بالحرف: «إن اول كل الوصايا هي: اسمع يا اسرائيل. الرب الهنا رب واحد»(٢).

فهو لم يقل إلا ما أمره الله به من عبادة الله وحده ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة:١١٧].

بل ويُخبرنا الإنجيل الذي بين أيدينا اليوم أن المسيح عليه السلام كان صريحاً في تعاليمه وأن عقيدته لا يوجد فيها شيء غير مُعلن: «فَسَأَلَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ يَسُوعَ عَنْ تلاَمِيذِهِ وَعَنْ تَعْلِيمِهِ. أَجَابَهُ يَسُوعُ: أَنَا كَلَّمْتُ الْعَالَمَ علاَنِيَةً. أَنَا عَلَّمْتُ كُلَّ حِينٍ فِي الْمَجْمَعِ وَفِي الْهَيْكَلِ حَيْثُ يَجْتَمِعُ الْيَهُودُ دَائِماً. وَفِي الْخَفَاءِ لَمْ أَتَكَلَّمْ بِشَيْءٍ»(٣).

---

(١) إصحاح٢ عدد١٥.

(٢) إنجيل مرقس١٢-٢٩.

(٣) يوحنا الأصحاح ١٨ العدد ٢٠.

فكان أحرص الناس على أتباعه، وأصل عقيدته هو ما يقوله لهم وليس ما يحكيه الكهان: «إِذاً الإِيمَانُ بِالْخَبَرِ وَالْخَبَرُ بِكَلِمَةِ اللهِ»(١).

فالإيمان لا يكون إلا بالخبر (الدليل). ولا يكون الخبر إلا بكلمة الله، وليس بافتراضات وظنون ما أنزل الله بها من سلطان.

والآن نأتي لبيت القصيد هنا ونقول: هل كان في تعاليم المسيح العلنية أنه هو الله؟

هل كان في تعاليمه العلنية أنه أحد أقانيم الثالوث؟

هل كان في تعاليمه العلنية أنه طالب بعبادته؟

هل كان في تعاليمه العلنية أنه أخبر أنه لاهوت كامل وناسوت كامل؟

هل كان في تعاليمه العلنية أنه جاء من أجل خطيئة آدم؟

أليس الذي لا نستطيع جميعًا أن ننكره أن المسيح لم يقل ولو لمرة واحدة أنا الله؟

لم يقل ولو لمرة واحدة اعبدوني!

لم يقل أنا لاهوت وناسوت!

لم يقل أنا جئت من أجل خطيئة آدم!

أليست كلمة مثل أقنوم لا توجد في الإنجيل كله ولو لمرة واحدة خير دليل على أنها من تعاليم الكهان وليست من تعاليم المسيح؟

أليست كلمة مثل ثالوث لا توجد في الإنجيل الذي بين أيدينا اليوم ولو لمرة واحدة خير دليل على أنها من تعاليم الكهان؟

ألم يجزم المسيح عليه السلام ويقطع بأن الله واحد وأن الله هو آخر غير المسيح؟

أكرر مرةً أخرى: وأن الله هو آخر غير المسيح؟

---

(١) رومية الأصحاح ١٠ العدد ١٧

يقول المسيح: «إِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي لَيْسَتْ حَقّاً. الَّذِي يَشْهَدُ لِي هُوَ آخَرُ وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ شَهَادَتَهُ الَّتِي يَشْهَدُهَا لِي هِيَ حَقٌّ»(١).

الَّذِي يَشْهَدُ لِي هُوَ آخَرُ

الَّذِي يَشْهَدُ لِي هُوَ آخَرُ

الَّذِي يَشْهَدُ لِي هُوَ آخَرُ

إذن الله هو آخر غير المسيح!

والمسيح ليس هو الله!

هذا النص وحده يقطع بنفي ألوهية المسيح عليه السلام.

فالرب واحد وليس آخر سواه كما يقول الإنجيل: «اللَّهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ»(٢).

بل إن المسيح يجزم في الإنجيل الذي بين أيدينا اليوم أن الله منفصل تماماً عن المسيح: «لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ كَذَلِكَ أَعْطَى الاِبْنَ أَيْضاً أَنْ تَكُونَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ»(٣).

فالمسيح هو آخر غير الله وهو مرسل من عند الله كما كل الرسل والصديقين الأطهار، ولذلك الذي يؤمن بالمسيح سيؤمن بالذي أرسله وهو الله، وفي ذلك يقول المسيح: «فَنَادَى يَسُوعُ: الَّذِي يُؤْمِنُ بِي لَيْسَ يُؤْمِنُ بِي بَلْ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي»(٤).

فوظيفة المسيح هي أن يؤمن الناس بالآب الله الذي أرسله.

---

(١) يوحنا الأصحاح ٥ العدد ٣٢.

(٢) مرقس الأصحاح ١٢ العدد ٣٢.

(٣) يوحنا الأصحاح ٥ العدد ٢٦.

(٤) يوحنا الأصحاح ١٢ العدد ٤٤

بل إن الجنة لن يدخلها إلا من قال: «لا إله إلا الله المسيح رسول الله» وهذا لفظ الإنجيل، حيث يقول المسيح في الإنجيل: «وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ»(١).

لقد شهد المسيح أن الحياة الأبدية –أي الجنة– هي في شهادة أن لا إله إلا الله وأن يسوع المسيح رسول الله وهو عين ما يؤمن به المسلمون جميعاً.

إذن المسيح ليس أكثر من نبي عظيم كما يقول الإنجيل صراحةً في عشرات المواضع: «يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ الَّذِي كَانَ إِنْسَاناً نَبِيّاً مُقْتَدِراً فِي الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ أَمَامَ اللهِ وَجَمِيعِ الشَّعْبِ»(٢).

بل إن المسيح عليه السلام يعترف في الإنجيل الذي بين أيدينا اليوم أنه لا يعلم الغيب ككل الأنبياء السابقين عليه فهو ليس بأفضل منهم في معرفة الغيب: «وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ الاِبْنُ إِلاَّ الآبُ»(٣).

أما معجزات المسيح العظيمة كإحياء الموتى وشفاء العمي –وهذه بالمناسبة يشاركه فيها كثير من أنبياء العهد القديم كإيليا ويشوع– فلم تكن هذه المعجزات لإثبات ألوهيته بل على العكس تمامًا هي لإثبات أنه رسول من عند الله لا أكثر، ولذا قال المسيح في معجزة إحياء الميت الشهيرة في الإنجيل: «وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقُ وَقَالَ: أَيُّهَا الآبُ أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي. وَلَكِنْ لأَجْلِ هَذَا الْجَمْعِ الْوَاقِفِ قُلْتُ لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي»(٤).

فعظمة المعجزة هي في أن يؤمن الواقفون أنه رسول من عند الله!

---

(١) يوحنا الأصحاح ١٧ العدد ٣

(٢) لوقا الأصحاح ٢٤ العدد ١٩

(٣) إنجيل مرقس الأصحاح ١٣ العدد ٣٢

(٤) يوحنا الأصحاح ١١ العدد٤٢

فالمسيح عبد لله ولن يستنكف عن عبادته، وما صلاته بين يدي الله في الإنجيل مرارًا وتكرارًا إلا علامة خضوع وعبودية لخالقه سبحانه. يقول الإنجيل: «وفي تلك الايام خرج الى الجبل ليصلي. وقضى الليل كله في الصلاة لله»(١).

ويوم القيامة سيكون المسيح بلفظ الإنجيل خاضعًا لله: «وَمَتَى أُخْضِعَ لَهُ الْكُلُّ فَحِينَئِذٍ الاِبْنُ نَفْسُهُ أَيْضاً سَيَخْضَعُ لِلَّذِي أَخْضَعَ لَهُ الْكُلَّ كَيْ يَكُونَ اللهُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ»(٢).

إن النصوص تواترت على عبودية المسيح لله في الإنجيل الذي بين أيدينا اليوم وما هذه إلا شواهد يسيرة لمن أراد الشهادة الحق لله وهي شهادة أن المسيح ومحمد وإبراهيم كلهم رسل الله وعباد الله وأن الله لم يجعل أحدًا من أنبيائه إلهاً!

فالله كما يقول الكتاب المقدس الذي بين أيدينا اليوم ليس إنسانًا: «لَيْسَ اللهُ إِنْسَاناً»(٣).

والله لم يسكن مع الإنسان على الأرض حاشاه سبحانه، وقد أخبر الله عز وجل هذه الحقيقة المدوية التي تسقط كل ألوهيةٍ لبشرٍ فقال الكتاب المقدس صراحةً وفي منتهى الدقة والوضوح: «لأَنَّهُ هَلْ يَسْكُنُ اللَّهُ حَقّاً مَعَ الإِنْسَانِ عَلَى الأَرْضِ؟ هُوَذَا السَّمَاوَاتُ وَسَمَاءُ السَّمَاوَاتِ لاَ تَسَعُكَ فَكَمْ بِالأَقَلِّ هَذَا الْبَيْتُ الَّذِي بَنَيْتُ!»(٤).

إن هذا برهان يتطلب قرارًا، وهذا القرار لا يتجاوز شهادة أن لا إله إلا الله وأن المسيح عبد الله ورسوله!

---

(١) إنجيل لوقا إصحاح٦ عدد١٢

(٢) كورنثوس ١ الأصحاح ١٥ العدد ٢٨.

(٣) العدد الأصحاح ٢٣ العدد ١٩

(٤) أخبار الأيام الثاني الأصحاح ٦ العدد ١٨

وختامًا

لماذا الدعوة إلى الإسلام بالأخص؟

يوجد على وجه الأرض ثلاث شرائع - يهودية ومسيحية وإسلام - يُشكل أتباعها أكثر من ٦٥٪ من سكان الارض، باقي الديانات في صيغتها الحالية أصبحت وضعية لا حاجة حتى للرد عليها -تعترف ببشريتها وهي في طريقها للإنقراض كما أوضحنا خلال الكتاب-، وأتباعها يُصنفون في مراكز الأبحاث العلمية أنهم مُلحدون أو روحيون - بلا دين-.

إذن محك الجدال بين الديانات الثلاث الكبرى لا أكثر.

اليهودية: أصبحت ديانة قومية لا يدخلها إلا يهودي الأبوين، والتحريف يملأ أكنافها.

النصرانية: أدخلت التثليث والأقانيم والآلهة البشرية في قلب عقيدتها، مع أن المسيح عليه السلام لم يقل ولو لمرةٍ واحدة في الإنجيل كله الذي بين أيدي النصارى اليوم أنا الله أو اعبدوني أو أنا لاهوت وناسوت، لكن أتباع النصرانية أصروا على صورتها الوثنية المعاصرة .

وكلمة "أُقنوم" التي هي أصل من أصول النصرانية لم ترِد في الإنجيل.

وفكرة الأقنوم تدور في إطار تعدد الآلهة، مع محاولة الحفاظ على نسق التوحيد الفطري -صيغة الثلاثة في واحد-، فهم يقولون: أقنوم الابن الإله الكامل، وأقنوم الآب الإله الكامل، وأقنوم الروح القدس الإله الكامل.

ولا يجوز أن يكون الإبن هو الآب، بل كل إله مستقل تمامًا عن الآخر، ومع ذلك هؤلاء الآلهة الثلاثة إله واحد.

وبداهةً هذه منتهى الوثنية، والتحدي لبديهيات العقل.

أما الإسلام: فالإسلام ليس فِرقة من الفِرق ولا عقيدة من بين عقائد الأرض، حتى يوضع في مجال مُقارنة مع باقي الديانات، بل هو أصل الأديان والعقائد.

فالإسلام هو تصحيح لمسار الديانات التي انحرفت، وإعادة لنهج أنبياء العهد القديم.

فلا يمكن في العقل أن يُقارَن بين التشويش العقدي في النصرانية والمسحة الوجودية البوذية والصنمية الهندوسية بالدين الذي تكاتف النبيون على إيصاله للبشر —الدين التوحيدي الأنقى- وبلّغه صاحب الرسالة أفضل وأنصح تبليغ وتركنا من بعده على المحجة البيضاء.

شتان ما بين الإسلام والكفر، أيًا كان نوع هذا الكفر.

ونحن في حواراتنا مع الكفار يظهر تمامًا الفرق الشاسع بين الإسلام وغيره من الكفريات من نوعية الأسئلة ذاتها.

فمثلاً كل أسئلتنا للملحدة والنصارى هي أسئلة وجودية كبرى.

فنقول للملحد: كيف ظهر الكون من اللازمان واللامكان؟

لماذا نحن هنا؟

كيف ظهر الضبط الدقيق لكل منظومات الكون والحياة منذ اللحظة الأولى؟

كيف انتقلت اللاحياة إلى حياة؟

لماذا نحن نعي الأخلاق والموت والحياة؟

ونقول للنصراني: كيف تؤمن بألوهية المسيح وهذا مناقض لعقيدة جميع أنبياء العهد القديم الذين تؤمن بهم وتؤمن بأنهم كانوا كاملين؟

كيف تؤمن بألوهية المسيح ولا يوجد نص واحد في الإنجيل الحالي قال فيه المسيح اعبدوني؟

كيف تكفر بالنبي محمد ﷺ والطريق الذي بها تثبت نبوة الأنبياء بمثلها وبأعظم منها بكثير تثبت نبوة محمدٍ -ﷺ ؟

وهذه أسئلة وجودية كبرى تضرب أصل المعتقد في مقتل.

وهذا ينطبق على كل الديانات والوثنيات الأخرى.

في المقابل بماذا يرد الملحد أو النصراني أو الوثني أو أية طائفة على الإسلام؟

صراحةً بحمد الله لا يجد الملحدة ولا الكفار ما يحتجون به على ديننا سوى أسئلة في غير محل الشاهد نسميها شبهات تافهة من سذاجة سطحيتها، لا علاقة لها بأصل الاعتقاد ولا حتى بفرعه.

فالملحد لا يملك إلا غرائب الفتاوي وشاذ الأقوال وخاص التصرفات.

تجتمع كلها تحت مسمى شبهات!

فالملحد لا يملك إلا سفسطة أدلة الآخر لا أكثر! ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡ﴾ [الأنعام:١٢١].

أما المسلم فيستطيع ببساطة أن ينتقد أصل الإلحاد وأصل النصرانية وأصل الوثنية دون التطرق إلى شاذ أقوال فرويد أو ماركس أو داوكينز أو بولس أو غيرهم.

طالما أن الإسلام بهذه القوة؛ لماذا كثر الصياح مؤخرا بالهجوم على الإسلام،وبدأ يظهر ملاحدة بين العرب؟

قال الإمام الغزالي رحمه الله (توفي ٥٠٥ هجرية): « أما بعد فإني رأيت طائفةً يعتقدون في أنفسهم التميز عن الأتراب والنظراء، بمزيد الفطنة والذكاء، قد رفضوا وظائف الإسلام من العبادات، وإنما مصدر كفرهم سماعهم أسامي هائلة كسقراط وبقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس وأمثالهم. فلما قرع ذلك سمعهم،. تجملوا باعتقاد الكفر، انخراطاً في سلكهم، وترفعاً عن الجماهير»[1].

فالقضية هي انبهار بالغرب وانكسار لتسلطه الفكري.

---

(١) تهافت الفلاسفة ص٤١.

۞لكن هؤلاء الملاحدة يطرحون شبهات وتشكيكات كثيرة، ما علاقة هذا بالانبهار بالغرب؟

✍ الإيمان بمركزية القيم الغربية وعالمية مُثُلهَم هو أصل استشكالات الملحدين.

ولبيان ذلك نقول أنه: قد تتعارض نصوص التراث الإسلامي مع نصوص الدفن مثلاً لدى الهندوس ومع نصوص الزفاف لدى بعض البلدان الأفريقية، لكن أحدًا من هذه التعارضات لن يلقى مشكلةً لدى الداخل الإلحادي.

المشكلة هي أن تتعارض نصوص التراث الإسلامي مع أيٍ من معطيات الغرب العلماني هنا تصير المشكلة وهنا تدار المنتديات والمحاضرات ويُقدم هذا معذرته وذاك تأويله وهؤلاء منتجهم الفكري الذي يعالج هذه الشبهة الإشكالية.

لماذا يا ترى حين تعارض النص مع المعطى الغربي صارت مشكلة؟

هنا القضية ليست في وجود تعارض، فالتعارض حتمي وإلا ما جائت الشرائع للتصحيح والضبط.

لكن القضية هي في اعتبار أن الغرب هو المركز وأن المركزية هي الغرب وأن قيمه لابد أن تكون عالمية، وتراثه لابد أن يكون أصلاً وغيره تبع!

إنها ببساطة ثقافة الغالب لا أكثر!

فإذا انزاح الغرب عن المركز كما كان حاله قبل قرنٍ ونصف من الزمان أصبحت قيمه موضع تندر لا تتبع وتسخيف لا إمعية وتحوير!

فالملحد يعيش لحظة انكسار لسحر القوالب الغربية.

۞إذن نحن متخلفون علميًا والغرب هو المتقدم؟

✍ نعم.

۞كيف يحق لنا ونحن المتخلفون علميًا أن ننتقد غيرنا؟ أو بصيغة أخرى: هل تخلفنا العلمي والتقاني يمنعنا من انتقاد الكافر المتقدم علميًا؟

✍ الله تعالى ضرب لنا المثل بأممٍ كثيرةٍ أبدعت في "العمارة المادية" ومع ذلك عرض الله تعالى أخبارها في سياق الذم لما أفلست في "العمارة الإيمانية" كما قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴾ [الروم:٩].

وحين أرسل الله موسى إلى المجتمع المصري المتقدم لم يقل له أيقظ قومك ليستفيدوا من الحضارة المصرية، بل أرسله لينورّهم بالوحي من ظلمات حضارتهم، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [إبراهيم:٥].

بل إن الله سبحانه وتعالى فضّل بني اسرائيل بما معهم من العلوم الإلهية على الفراعنة بما معهم من الحضارة، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الجاثية:١٦].

فإذا تأمل القارئ هذا الموضع وكيف كان سبب تفضيل بني إسرائيل أنوار النبوة والكتاب، وكيف لم تفلح حضارة الفراعنة في إخراجهم من الظلمات، استبان له "الميزان الإلهي" لتقييم المجتمعات والثقافات والشخصيات والحضارات والمدنيات، وميزان المسلم تبعٌ لميزان الله جل وعلا.

والنبي ﷺ بعث إلى الناس وفي عصره أربع إمبراطوريات اقتسمت العالم: الرومانية والفارسية والهندية والصينية، وكانت معاهد العلوم فيها شامخة، فضلاً عن مخزونٍ حضاريٍ متراكمٍ من الحضارة الإغريقية والمصرية.

بل إن العلوم المدنية قبيل مبعثه ﷺ بلغت شأواً عالياً في دقائق المعقولات كقوانين العقل الجوهرية كقانون الهوية والتناقض والثالث المرفوع، ونظرية الدولة وتقسيم أشكال اسناد السلطة، ودقائق الهندسة وحساب الدوال الرياضية، وفنون العمارة والمسرح والشعر

والأدب، وأصول الطب، والمسافات الفلكية، وغيرها كثير وإنما هذه نماذج تكشف مستويات البحث المدني.

ومع ذلك كله فإن الله سبحانه وتعالى لما بعث نبيه في جزيرة العرب لم يبعثه ليقول للناس: يا معشر العرب أنتم تعانون من التخلف المدني ويجب عليكم أن تتجاوزوا جفوة عروبتكم وتتعلموا من الأمم المتقدمة، ولم يقل لهم: يجب عليكم أولاً أن تقفوا موقف التلميذ أمام علوم المنطق والطب والفلك والفلسفة ونحوها ثم تدعوا الناس، ولم يقل لهم: اعرفوا قدر أنفسكم أمام الحضارات الأخرى، ولم يقل لهم: يجب أن تشاركوا الأسرة الدولية في سعادة الجنس الإنساني عبر الإبداع الابستمولوجي!

بل إن الله أخبر نبيه بعكس ذلك تماماً، فقد أخبر نبيه عن القيمة المنحطة في ميزان الله لكل تلك المدنيات التي عاصرت بعثة النبي ﷺ، ووصفها القرآن بالضلال بكل ماتضمنته.

كما روى الإمام مسلمٌ في صحيحه من حديث عياض المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب**»[1].

إذا انتقدنا غيرنا فكيف نفخر ونحن متأخرون علميًا؟

نفخ النبي -ﷺ- في أصحابه الشموخ بـ"العلوم الإلهية" فوق المدنيات الصغيرة بالنسبة لجلال المعرفة الإلهية، ونبّه أصحابه إلى التنوير الحقيقي وهو نور الوحي، وربى أصحابه على أن تلك المجتمعات المتمدنة يحتاجونكم أضعاف ما تحتاجونهم، فهم إنما يملكون الوسائل وأنتم تعرفون الغايات، وشتان بين منزلة الوسيلة والغاية».

ومن أجل ذلك لم ينبهر الصحابة بالحضارات التي كانت في وقتهم!

بل كانوا يقولون مرارًا وتكرارًا أنهم جاؤوا لإنقاذ هذه الحضارات من جاهليتها.

انظر إلى الصحابي الجليل ربعي بن عامر -رضي الله عنه- حين دخل على رستم قائد الفرس وقد زيَّنوا مجلسه بالنَّمارق المذهَّبة، والزَّرابي الحرير، وأظهر اليواقيت واللآلئ الثمينة

(١) من وحي كتاب: "مآلات الخطاب المدني"، إبراهيم السكران حفظه الله.

والزينة العظيمة، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب. ودخل ربعي بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة، ولم يزل راكبَها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحُه ودرعه وبيضتُه على رأسه. فقالوا له: ضع سلاحك فقال: إني لم آتِكم وإنّما جئتكم حين دعوتموني، فإنما تركتموني هكذا وإلا رجعت. فقال رستم: إئذنوا له، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النَّمارق فخرَّق عامتها، فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضِيق الدنيا إلى سعَتَها، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه.

انظر إلى احتقاره لزينة الكافر وبهرجه

انظر إلى اعتزازه بجواب الأسئلة الوجودية الكبرى التي يحملها.

والتي تنخرق أمامها كل زينة الدنيا ومتعها!

فنجاح الصحابة الآكد أنهم لم يكونوا يعانون من عقدة النقص التي يعاني منها المعاصرون -إلا مَن رحم ربي-، بل كانت عزتهم في امتلاكهم أجوبة الأسئلة الوجودية الكبرى، وتأكيدهم على تفاهة الحياة الدنيا وحقارتها مقارنةً بالنعيم الأبدي!

فلا يفرح الكافر بأكثر من أن يُبهرك بنمارقه المذهبة وزينته العظيمة، فالانكسار لفتنته يُنهي المعركة قبل أن تبدأ!

ولذلك لم يفت ربعي بن عامر جهل رستم بأعظم مطلوب وهو الله سبحانه فتحولت كل زينته إلى صورةٍ بهيميةٍ بلا قيمةٍ ولا غايةٍ كما يصف القرآن الكريم ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ [محمد:١٢].

فإجابة الأسئلة الوجودية الكبرى ترقى بمالكها وتسقط بمفتقدها.

وعند هذه النقطة لابد من إلماحةٍ هامة ذكرها إبراهيم السكران وهي أن: «هذا الانتقاص والاستعلاء الشرعي على المنجزات الحضارية والفنية قبيل مبعثه ﷺ ليس ذماً

لتلك المنجزات لذاتها، وإنما لأن أصحابها لم يتزكوا ويتنوروا بالوحي والعلوم الإلهية، فلم يصلوا إلى الرقي والسمو الحقيقي وهو مرتبة العبودية، وإنما بقوا في حضيض المنافسة الدنيوية.

هذا الموقف النبوي من أدق ما يبين أن الانتفاع بما لدى الغير لا يقتضي الانبهار بهم، وأن الذم لواقعهم لا يتعارض مع الاستفادة من الحكمة التي هي ضالة المؤمن»[١].

ما مشكلة المدنية؟ لماذا أشعر أنكم تحاربونها حقيقةً؟

مشكلة دعاة المظهر المادي أنهم لا يقدمون أجوبة عن أسئلة الغاية – أسئلة الغاية مثل: لماذا نحن هنا، وماذا بعد الموت، وما الغاية وما الحكمة، ..؟– فدعاة المظهر المادي كانوا وما زالوا عميًا في الغايات ولكنهم متمكنون جدًا من الوسائل فجعلوا من الوسائل عصائب على أعينهم تمنعهم تبصُّر الغايات.

ولو أنهم لحظة انتصارهم المادي انصاغوا إلى الأجوبة الدينية. فصاروا مقلدين في الدين مبتدعين في الحضارة –كما كان حال المسلمين في تاريخ مجدهم الأزهر– لما صارت مشكلة. لكن ما نعيبه على دعاة المادية أن اغترارهم بالمادة أعمى بصائرهم عما ورائها ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ ﴾ [غافر:٨٣].

فأصل معرفة الغايات هبة إلهية تقترن بالإيمان، وقد عجزت كل حضارات العالم أن تتقدم خطوة واحدة إلى الأمام في أجوبة الغاية. بل ظلت هذه الأجوبة حصرية داخل ميدان الإيمان ﴿ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [النور:٤٠].

فالافتتان بالمظهر المادي وتجاهل أعظم مطلوب في الوجود هو منتهى الجهل وهو بالضبط ما نحاربه ويحاربه كل شخص يخاف على مستقبله الأخروي.

---

(١) من وحي كتاب: "مآلات الخطاب المدني"، إبراهيم السكران حفظه الله.

فهرس الموضوعات